# الفصل الرابع

## من بيروت إلى الناقورة

عن صيدا وصور "طريق معبدة ١١٣ كم تحاذي الساحل من مسافات مختلفة يترك بيروت من ساحة السور (عصور) فينحرف نحو الجنوب ويدرج صاعداً في طريق البسطة التحتا ثم البسطة الفوقا، وأهلها شيعة التي تبعد ٢ كم وفيها أول حرج الصنوبر وبعد جامع الحرب يجد طريقين، فالغربي منهما يذهب جنوباً وسط الحرج إلى قرية الشياح (في الكم ٢.٥) ثم يمر وسط الصنوبر إلى أن يبلغ في الكم ٤ قرية الطيونة. ويحاذي الطريق حضيض الجبل من بعد ٢ ـ ٣ عن البحر ـ في الكم ٦ يرى على اليسار فوق مرتفع بعبدا، وفي قرية الحدث يترك على يساره الطريق الذي يفضي إلى بعبدا (في الكم ٤) ثم في الكم ٧ طريق ثانٍ يفضي أيضاً إلى بعبدا في الكم ٤ وعلى اليمين طريق نحو قرية برج البراجنة التي لها طريق خاص إلى بيروت يوازي ما نذكره ويمر بقرية الشياح التي تقدم ذكرها.

أما الحدث فقرية جميلة سكانها ٢٥٠٠ أكثرهم موارنة وهي موطن الفرع الذي تنصر من الأمراء الشهابيين، ولهم فيها دور كبيرة قديمة وفي الحدث محطة للسكة الحديدية الذاهبة إلى دمشق. في الكم ٨ يترك على اليسار الطريق الصاعد إلى قرى وادي الشحرور وبديرون والقماطية، ثم يجتاز غابة جميلة من شجر الزيتون تسمى باسم صحراء الشويفات ـ وفي الكم ٩ يعبر جسراً فوق نهر الغدير، وهنا يرى على يساره فوق أكمتين قريتين متجاورتين اسمهما كفر شيما ورويسات، فكفر شيما منشأ كثير من العلماء والشعراء والكتاب أمثال آل اليازجي وشميل وتقلا وغيرهم، وفي أعلاها دير كبير يسمى مار أنطونيوس دير القرقفة للروم الكاثوليك، يبدو للعين كقلعة حصينة، أما رويسات فليس فيها ما يستحق الذكر سوى القبور الرومانية العديدة التي وجدت حولها، ثم يستمر الطريق في اجتياز غابة الزيتون المذكورة وهي جد عظيمة ربما بلغت مساحتها ١٨٠٠ هكتار، في الكم ١٠ الطريق الصاعدة إلى الشويفات وعين عنوب وعيتات وسوق الغرب، ثم يرى على اليسار الشويفات القائمة فوق ثلاث أكمات، ودورها متدرجة راكب بعضها فوق

بعض وهي بُليدة حسنة، وقاعدة قائمقامية الشوف الشتوية، سكانها نحو ٥٠٠، وأول ما يشاهد المسافر فيها كنيستين متلاصقتين وهي للأرثوذكس وللموارنة، وفي أعلاها بناية ضخمة في مركز جميل هي المدرسة الإنكليزية، ثم بعدها دار حكومة القضاء وأجل ما يصدر من الشويفات الزيت وفيها ثلاثون معصرة لاستخراجه ومعامل للصابون ومدارس داخلية وخارجية عديدة ونهضة علمية كبرى، وقد نبغ منها كثير من رجال السياسة والقلم، وهي من أول القرى التي بناها التنوخيون، كما تدل على ذلك آثارهم وبقايا دورهم المتهدمة، ثم صارت مقر بعض الأمراء الأرسلانيين أنسباء التنوخيين ومنهم أمير البيان الأمير شكيب أرسلان المنذر بن مسعود بن عون بن المنذر بن النعمان بن قابوس بن المنذر بن ماء السماء اللخمي. والأرسلانيون من آل تنوخ من أعقاب ماء السماء اللخمي. الأمراء الأرسلانيون الذين منهم أمير البيان والمدافع عن حمى الاسلام العلامة الأمير شكيب أرسلان.

في الكم ١٢ على يسار الطريق مخفر درك . في الكم ١٤ على يمين الطريق وقرب شاطىء البحر محطة البرق اللاسلكي لشركة راديو الشرق وفيها أعمدة سامية الإرتفاع جداً ومن هنا يقترب الطريق إلى البحر فيسير على ضفته . في الكم ١٨ خان خلدة، وهو خان قديم فيه مقهى صغير، وقد ذكر هذا المكان في كتب الأدلة القديمة باسم موتايتو خلدوا، وعلى يمين الطريق يلحظ تل صغير وجدوا فيه أنقاضاً أثرية رومانية وبيزنطية، وفي شرقه على سطح انصباب الجبل وجدوا أيضاً عدداً كبيراً من النواويس من العهد الروماني البيزنطي وعدداً من المغاور المنقورة في الصخر. في الكم ٢٠ الناعمة، قرية كبيرة مبنية مكان مدينة أثرية يجزمون بأنها مدينة الأسد، وقد وجدوا فيها أطلالاً ذات شأن وعلى الأخص كثيراً من العاديات السابقة للعهد الروماني، وفي أعلى القرية دير اسمه دير الناعمة . ثم على اليمين تبدأ مغارس التوت الممتدة إلى أن يصل: في الكم ٢٢ الدامور، قرية كبيرة سكانها ٢٢٠٠ تمتد من الناعمة إلى مسافة كيلو مترين، وهي مشهورة بخصب تربتها ووفرة مياهها وباعتناء أهلها بتربية دورد الحرير الذي دالت دولته بعد الحرب العظمى، وفيها خمسة معامل للحرير تظهر وسط كروم التوت الواسعة التي يشملها اسم (جبل الدامور).

## من الدامور إلى دير القمر ٢١ كم، إلى الشرق في طريق معبدة

يتبع السائر طريق الناقورة إلى مسافة ٣كم، ثم يسلك نحو اليسار طريقاً يصعد في وادي نهر الدامور على ضفته اليمنى وكان اسم هذا النهر قديماً . في الكم ١ بيتنايا، قرية وسط سهل خصب . في الكم ٢ الزيرة، وهنا مغارس توت، ثم يضيق الوادي . في الكم ٣ يعبر الوادي فوق جسر وينتقل إلى الضفة اليسرى، في الكم جسر على نهر الحمام، وهذا يتحد مع نهر القاضي فيؤلفان نهر الدامور . في الكم ٥ يلج وادي نهر القاضي ثم يتسلق الصعائد التي في سطح الانصباب الأيمن لهذا الوادي من منعرجات شديدة الخطر . في الكم ٦، المغارة، مقهى ومخفر درك . ثم يستمر الطريق في الصعود وتسلق المنعرجات، ثم في الكم ٩ يشرف على وادي نهر الحمام (على اليمين)، وهنالك منظر جميل فوق هذه العرفة. وعلى اليمين وفي الأسفل قرية عوقايا . في الكم ١٣ يستمر في الصعود فيبلغ قرية بيدر الرمل . في الكم ١٤،٥ يترك على اليمين طريقاً يهبط إلى بطن وادي نهر الحمام ثم يصعد إلى بعقلين، وهي قرية كبيرة درزية قائمة فوق أكمة كالعرفة، كان لها شأن يذكر في تاريخ لبنان، وهي الآن قاعدة قائمقامية الشوف الصيفية، سكانها ٣٠٠٠، وفيها بعض الآثار الباقية من عهد آل معن، فقد كانت أول مساكنهم وفيها دار للحكومة ومستشفى إنكليزي ومدرسة إنكليزية وأخرى وطنية ابتدائية، وقد امتاز أهلها بصنع السجاد والعباءات والصابون واشتهرت بكروم الزيتون والعنب ومعاصر الزيت وهي مقر شيخ عقل الطائفة الدرزية. لكن ليس فيها نبع، ويشرب أهلها من الصهاريج . في الكم ١٥ قرية كفر حيم . في الكم ١٩ يلحق الطريق القادم من سوق الغرب إلى دير القمر والمار من جسر القاضي، ثم يستمر في توقل الصعائد المنعرجة إلى أن يبلغ في الكم ٢١ دير القمر.

عودة إلى طريق الناقورة ـ بعد معلقة الدامور يمر الطريق (في الكم ٢٤) من تحت خان مسقوف ثم في الكم ٢٥ على اليسار مفرق طريق دير القمر الذي تقدم ذكره.

ثم يعبر طريق الناقورة نهر الدامور فوق جسر حجري كبير. على اليمين آثار الجسر القديم.

في الكم ٢٧ السعديات نقطة فيها خنادق ومقاه بسيطة. ومن ثم يمر الطريق تحت خان مسقوف ويبلغ رأس الدامور. ويزعم البعض أن في هذا الرأس كانت المعركة القديمة التي انتصر فيها انطيوخس الكبير على جيش بطليموس الرابع (فيلوماتر) سنة ٢١٨ ق.م، أما الأثري دوسسو فيضع هذه المعركة في عرمون الواقعة تحت طريق سوق الغرب عند جسر القاضي.

في الكم ٢٨ خان مسقوف ـ في الكم ٢٩ منظر جميل على جون الجية، وهنا مخفر درك السعديات ـ ثم يترك الطريق على اليمين كثبان رمال ثم ينحرف نحو اليسار.

في الكم ٣٠ قرية الجية وسط البساتين وكروم الزيتون. (وجد المسيو كونتو قرب هذه القرية وعلى بعد بضعة أمتار من الطريق وفي منتصف الجون على التقريب ـ لبقايا بلاط أثري جميل من الفسيفساء كان مطموراً تحت الرمال، وعليه تاريخ ٥٧٣ ميلادية وكتابة تدل على أن البلاط المذكور من توابع أحد المعابد.

في الكم ٣٣ خان النبي يونس، وجد فيه أيضاً الدكتور جياردو فسيفساء أهديت في سنة ١٨٦٣/١٢٨٠ إلى الإمبراطور نيوليون الثالث. في يمين هذا الخان، وعلى شاطىء البحر مزار يزعمون أنه هو النبي يونس الذي سمي المكان باسمه، وأنه هو الذي خرج من بطن الحوت هناك ودفن فيه.

وبقعتا خان يونس والحسية وحدها الأثريون مع اسم مدينة (يورفيزون) المشهورة في تاريخ الشام القديم. واسم يورفيزون هذا نشأ دون شك من أن هذا القسم من الساحل الفينيقي كان محلاً لاصطياد الأرجوان. وهناك كثير من قطع الأعمدة باقية على شاطىء البحر وتدل وفرة الفسيفساء التي استخرجت من تحت الرمال هنا على أن هذه البقعة قضت عهداً لامعاً في القرن الخامس الميلادي.

على يسار الطريق قرية برجا . ثم يبلغ الطريق في الكم ٣٥ خرشوماً داخلاً في البحر اسمه رأس جدرا فيشرف منه على منظر جميل نحو صيدا . في الكم ٣٦ وبعد خان يجتاز الطريق وادي السكة، ثم في الكم ٣٧ يجتاز وادي الزينية . في الكم ٣٨ يترك على اليسار طريقاً يتصل بعد نحو ٣٠ كم إلى بعقلين ماراً بشحيم في الكم ١٤ رأس الرميلة . وهذه قرية مسلمة كبيرة، سكانها نحو ٢٠٠٠، ثم بقرية غاريفة في الكلم ٢٥ ومنها إلى بعقلين وبيت الدين، ثم على اليمين ساحل رملي جميل ثم على اليسار قرية الرميلة، وهي راكبة على أكمة وفي أسفلها مقبرة أثرية ثم ينحرف الطريق نحو الجنوب فيبلغ أول سهل صيدا . في الكم ٤٣، على اليسار طريق يذهب إلى جون وإلى دير المخلص.

ثم يعبر الطريق جسراً على نهر الأولي، وهذا النهر كان يسمى قديماً بوسترنوس، ثم سماه العرب نهر الفراديس نسبة إلى وادي الفراديس الذي يجري فيه، وهو فوق دير القمر، وفيه يتكون النهر من ثلاثة روافد أجلها شأناً نبع الباروك ويعد هذا النهر الحد الفاصل بين إقليم الخروب وإقليم التفاح في لبنان.

وبعد عبور الجسر يجد على اليسار جسراً قديماً بناه الأمير فخر الدين المعني. وفي قربه تبدأ قناطر الماء التي تشتق من نهر الأولي ثم تروي بساتين صيدا الغناء. وإذا طل الزائر على الضفة اليسرى للنهر يرى القسم الأكبر من جدار عظيم باقٍ من هيكل اشمون، وهذا يمكن بلوغه من مجاز على اليسار (في الكم ٤٣,٥) فيصله خلال عشر دقائق.

في الكم ٤٤,٢ يترك على اليسار طريقاً يفضي إلى الرامية، في الكم ٤٦ على اليسار طريق يدرج نحو جزين. ثم تجتاز الطريق بساتين البرتقال والليمون والأكي دنيا التي اشتهرت بها صيدا، وتلتف في عدة منعرجات خلال ذلك . في الكم ٤٧,٥ يترك على اليسار طريقاً يصعد إلى مية ومية . في الكم ٤٨ صيدا.

صيدا مدينة صغيرة على ساحل البحر، سكانها نحو ١٥٠٠٠ نصفهم مسلمون سنية ثم شيعة ونصفهم نصارى من الروم الكاثوليك والموارنة وقليل من اليهود، وهي قاعدة اللواء الجنوبي اللبناني . وفيها مفتٍ للمسلمين ومطارنة الروم الكاثوليك والموارنة.

وصيدا تشبه غيرها من المدن القديمة في الساحل الفينيقي بأنها مبنية فوق خرشوم ممتد نحو البحر، وأمامه جزيرة وهي محاطة ببساتين غناء فيحاء تنمو فيها أطيب ثمار البرتقال والليمون واليوسفي والموز وزعرور اليابان المعروف بالأكيدنيا والمشمش والدراق وغيرها، وفصل الربيع في صيدا خلال شهري آذار ونيسان جد بهيج عطر، حينما تتطرز ضواحيها وحواشيها بروائحها الذكية. وتتسلسل قنواتها، وتتفتق أنوار أشجارها النارنجية فتتضمخ الأرجاء فتصبح بهجة النفوس حقاً. وهذه القنوات المشتقة من نهر الأولي تحمل إلى تلك البساتين الري والخصب، ووراء السهل الحاوي تلك البساتين تنتصب الأعضاد الأولى من جبل لبنان، وتطل جبال تيماوتومات جزين على هذه الأعضاد من علو ١٨٥٠ متراً.

ومرفأ صيدا صغير لا تستطيع أن تدخله سوى المراكب الشراعية وزوارق صيادي السمك، ولهؤلاء هنا حركة غير يسيرة، وتستورد صيدا الحبوب والبن والبترول والرز والسكر والخشب، وتصدر البرتقال والليمون ثم الفواكه المتنوعة التي تقدم ذكرها، وفيها معمل لدباغة الجلود وفيها ثلاثة فنادق من الدرجة الوسطى في الشارع الكبير المنسوب للمطران، وثلاثة مقاه وحمامات وعدة مراتب للسيارات ونحو ستة مدارس متوسطة لمختلف الطوائف وتسعة مساجد للمسلمين وخمس كنائس للنصارى وكنيس لليهود.

التاريخ - صيدا واسمها القديم صيدون من أقدم المدن الفنيقية عهوداً وأجلها شأناً. وكانت منقسمة إلى قسمين - كما يدل على ذلك كتابات هيكل اشمون، الأول المدينة البحرية (الميناء) (صيدون يام) والثاني المدينة البرية العليا المبنية على الأعضاد الأولى للبنان (صيدون صادة) قال يوسيفوس المؤرخ العبراني إن صيدون تسمت على اسم صيدون بكر كنعان بن حام بن نوح. ولما فتح الفراعنة الشام على عهد الدولة الثامنة عشر والتاسعة عشر ودخلت صيدا في حمايتهم حازت المقاوم الأول بين المدن الفنيقية، وشاد الصيدونيون مخازن تجارية لهم في لانيس وحامات (حماة) وتايسلك وبلغوا نيسيسبي قلب منبع الرحلة كما أن تجارتهم مع الأمم القاطنة على شواطىء البحر المتوسط جعلت لهم مملكة استعمارية حقيقية. ولما تقدمت الدولة الاقريطيشية في أواخر عهد الأسرة الثامنة عشر بدأت السيطرة البحرية الصيدونية

في بحار اليونان تميل للزوال وقد تكلم موسى عن صيدا بأنها الحد الشمالي لأرض كنعان (الاصحاح ١٠، ١٥ ـ ١٩) وكانت تعد إحدى المدن السبعة التي لم يجسر العبرانيون أن يستخلصوها من يد الكنعانيين، وقال هوميروس عن الصيدويين بأنهم مهرة في كل الأمور، وظلت صيدون مترئسة على المدن الفينيقية حتى أخذ الفلسطينيون يركبون البحار فعزموا على مقاومة صيدا وداهمت سفائنهم أسطولها فكسروه وأسقطوا صيدا وخربوها، فهرب من نجا من أهلها والتجأ إلى صور ومن ذلك الحين انتقلت الرياسة على المدن الفينيقية إلى صور، واستكانت عهدئذ صيدا بصور إلى سلمنازار الثالث حول سنة ٨٤٠ ق.م وظلت منقادة إلى الأشوريين تقدم السفن إلى سنماصر الخامس ضد صور المحصورة حول سنة ٧٢٦ ق.م، وقام أحد ملوك صيدا وكان اسمه عبدي ملكوت شاقاً عصا الطاعة ضد آصور أض الدين فجاء هذا ودك صيدا وذبح كبراءها ونقل ملكها وسكانها إلى بلاد آشور وأسكن محلهم حوالي من بلاد كلدة، وسوسيانة (٦٨٠ ـ ٦٧٠ ق.م) ولما قام أمراء بلاد الشام بثورة عامة ضد متبوعهم ملك آشور بختنصر، لم تشاركهم صيدا في ذلك وحفظت طاعتها له ثم سقطت في سنة ٥٨٠ بيد الفرعون أوابرا. ثم بعد مدة (٣٥٠) ثارت ضد أرتاكسركيس أوخوس، فأحرقها هذا واحترق بين اللهيب ٤٠٠٠٠ نسمة من سكانها بينهم الملك تنس الذي خان شعبه وسلم صيدا إلى العدو (ديوردروس الصقلي) ويزعم بعض المؤلفين أن هذا الملك كان أبا اشمونازار الذي وجد ضريحه في صيدا، ثم عادت صيدا إلى سابق عهدها وسلمت للاسكندر دون مقاومة، ثم سقطت في أيدي السلوقيين والبطليموسيين، وفي أول عهد الرومان حكم صيدا أبناؤها وألفوا شبه جمهورية مؤلفة من مجلس قضاة ومجلس نيابي، ثم حرم اغسطوس قيصر الصيدونيين من امتيازاتهم هذه، ومر القديس بولص بصيدا في طريقه من قيصرية إلى رومية ورآها رغم انحطاطها البارز محتوية على حركة تجارية ذت شأن. ولما عمت النصرانية صارت صيدا مركز أسقفية.

وفتحها المسلمون فيما فتحوا من بلاد الشام وظلت في أيديهم حتى جاء الصليبيون، فاستخلصها منهم بلدوين في سنة ١١١١/٥٠٥ وجعلها الصليبيون في عهدهم قاعدة مقاطعة سموها ـ وهي ثانية البارديات الأربع في مملكة الفرنج، ولما

ظهر السلطان صلاح الدين بعد أن افتتحها دون مقاومة سنة ١١٨٧/٥٨٣ فدك أسوارها ثم استعادها الصليبيون سنة ١١٩٧/٥٩٤ وظلت في أيديهم حتى استعادها المسلمون منهم سنة ١٢٤٩/٦٤٧ وخربوا أسوارها مرة أخرى، ثم عاد الصليبيون مرة أخرى وأسقطوها في سنة ١٢٥٣/٦٥١ ورمموا حصونها، ثم اشتراها الفرسان الهيكليون من أميرها يوليانوس وظلت في أيديهم إلى أن هاجمها المغول سنة ١٢٦٠/٦٥٩ فجعلوا عاليها سافلها، ثم وقعت في أيدي المسلمين سنة ١٢٩١/٦٩٠ بعد سقوط عكا وخروج الصليبيين نهائياً من كل الساحل الشامي.

وفي القرن ٩هـ/١٥م ذكر الظاهري أن صيدا كانت أحد مرافىء دمشق تغشاها السفن التجارية بكثرة. وكانت الطريق على رواية العزيزي من صيدا إلى مشغرا ومنها إلى كامد (ولعلها كامد اللوز قرية في غربي البقاع) ومنها إلى عين الجسر ومنها إلى دمشق، إلا أن صيدا لم تنهض من كبوتها إلا في القرن الحادي عشر الهجري على عهد الأمير فخر الدين المعني الذي جعلها مقر ولايته وسمح لتجار الإفرنج الطليان والفرنسيس بالنزول بها حتى ازدهرت تجارتها وأقام فيها قصراً له وخاناً كبيراً، لكنه اضطر لسد المرفأ وإملائه من خوف الأسطول العثماني. وتوفق وقتئذ الشغاليه دارفيو قنصل فرنسا وشريك أحد البيوتات التجارية في مرسيليا لتأسيس علاقات تجارية هامة بين بلاد الشام وفرنسا. وظلت صيدا متقدمة في تجارتها وعمرانها إلى أواخر القرن الثاني عشر، وكانت قاعدة إيالة، كانت في سنة ١٨٣٨/١٢٥٤ تتألف من أنحاء عكا وجبالها وبلاد بشارة وصفد وطبريا وتوابعها. إلا أنه لما طرد أحمد باشا الجزار الإفرنج من صيدا سنة ١٧٩١/١٢٠٦ أخذت في الانحطاط عاماً فعاماً. وزاد هذا فيما بعد حينما نقلت قاعدة الإيالة إلى بريت، وانتقلت حركة التجارة مع أوروبا إلى بريت وحلب.

وخربت زلزلة سنة ١٨٣٧/١٢٥٣ صيدا فجاء سليمان باشا الفرنساوي رئيس أركان جيش إبراهيم باشا وقد كانت أعجبته فبدأ بإعمارها وأحاطها بسور كبير من جهة البر، وفي سنة ١٨٤٠/١٢٥٦ جاءت الأساطيل المتحدة لإخراج جيش إبراهيم باشا فقصفت بمدافعها قلعة مرفأ صيدا ودكتها.

زيارة صيدا . تترك السيارة عند تقاطع طريق بيروت بشارع المطران الكبير، فيسير الزائر بهذا الشارع متجهاً نحو الشمال ثم يدور إلى اليسار ويمر من أمام خان قديم بدل إلى ثكنة ذات بوابة تستحق الرؤية لها على جانبيها أسود، ثم يدور إلى اليمين ويصل إلى الرصيف الذي على ساحل البحر ويعبر لساناً ضيقاً يوصله إلى قلعة البحر.

وهذه القلعة قائمة في جزيرة صغيرة وسط البحر ذرعها نحو ١٠٠×٨٠ متراً، كان فيها دون ريب في العصور القديمة بناء عظيم ذو أعمدة لعله هيكل مكرس على ما يظن إلى ملكار هركول الفينيقيين. وفي عهد الصليبيين جاء فريدريك الثاني واستقر في صيدا وحول البناء الأثري المذكور إلى قلعة ليجعل صيدا في أمان من هجوم المسلمين. وقد تناوبت هذه القلعة أيدي الصليبيين والمسلمين عدة مرات كما ذكرنا في تاريخ صيدا ، وهي الآن متخذة مستودعاً للبترول.

وكانت الجزيرة المذكورة في الماضي متصلة بالبر بطريق معبدة. ثم أزيلت هذه وبدلت بجسر قد تهدم الآن، وهو من عهد سابق للصليبيين، وكان هذا الجسر يربط الشاطىء بكتلة صخرية قام فوقها باب وبرج يعود لعهد الصليبيين وهذا البرج يبعد عن القلعة نحو ٣٢م وكان بينه وبينها جسر ذو أربع قناطر لاتزال دعائمها قائمة. وكانت الجزيرة محاطة في دائرتها بسطح منحدر من الحجر المبني لا تزال بعض أقسامه ماثلة، ولا ريب في أنه كان هناك باب قد اندثر الآن بالمرة محله في منتهى الجسر. والقلعة كانت في الأصل مؤلفة من برجين لهما سور فالبرج الشرقي وهو الأعظم، كان متخذاً كصرح، وهو مستطيل الشكل وذرعه ٢٧م في ٢١م، وفي جدرانه قد اقحموا عدداً كبيراً من أعمدة الروابط وقد زالت طبقته العليا ولم يبق إلا السفلى، وفي جوف هذه صهريجا ماء مطليان بطبقة ثخينة من الطين والكلس، وهذه الطبقة السفلى مؤلفة من رخام ضخمة أكثرها منحوت نحتاً بارزاً كالأحجار الصورية. أما البرج الثاني الغربي فهو أكثر سلامة وطبقته السفلى وحدها قد بنيت بالأحجار الأثرية قديمة المنحوتة نحتاً جميلاً. أما السور الذي حول البرجين فقد بني مكانه مبانٍ حديثة ولا يزال يعثر المدققون على بعض أنقاض من آثار الريازة والنقش اللذين يعدان من أبدع الطرز الفرنسية في القرن ١٣م كالأحجار

المنحوتة نحتاً بارزاً، وتيجان الأعمدة وغيرها. وفي الجنوب الغربي قد جعلت الصخور بحيث تؤلف خطاً عرضه ثلاثة أمتار ومبلطاً ببلاط طويل أصبح الآن مغموراً بالمياه.

وقلعة البحر تطل على المرفأ الشمالي وهذا المرفأ مابرح مستعملاً على الرغم من أن الأمير فخر الدين المعني قد طم مدخله في القرن الحادي عشر الهجري ليمنع دخول الأسطول العثماني فيه، وثمة خط صخور طبيعي يحد المرفأ ويحفظ من الغرب ومن الشمال، وليس لهذا الخط سوى ممر ضيق لا يزيد عن ٢٥م في مكان اسمه الفتحة يحرسه برج لاتزال بقايا رضامه الضخمة ظاهرة. وفي غربي قلعة البحر سد أو حاجز (قد اندثر الآن، وهو في مكان المدخل الحالي للمرفأ) وكان متمماً للرصيف في جهة الشمال، بينما كان ثمة طريق معبدة تسد المرفأ من جهة الشمال الشرقي، ولا يزال بالإمكان تمييز آثار هذه الطريق في قعر الماء، وهي على مقربة من القناطر التي كانت حاملة الجسر الذي يوصل للقلعة بالبر. وكانوا إذا أرادوا سد الفتحة يمدون سلسلة ضخمة من الحديد فيمتنع إمكان الدخول إلى المرفأ بالمرة، وهذا ما دعا سيلاقس أن يسميه بالمرفأ المسدود. وفي الطرف الجنوبي يلحظ وجود حوض صغير منقور بيد الإنسان في الصخر، ذي شكل مستطيل. وهو لا شك (المرفأ الجواني) مأوى زوارق الفينيقيين، فقد كان هؤلاء يستعملون هذا المرفأ ومرفأ آخر يقع في مسافة إلى الجنوب، وذلك حسب الفصول والرياح، ويؤكد بعض المؤلفين أن المرفأين كانا متصلين بترعة، بينما الأثرى كونتنو يخالفهم بهذا الرأي، وهو آخر أثري عني بآثار صيدا، فلم يعثر على أي أثر للترعة المزعومة. والمسافة الفاصلة بين المرفأ الشمالي والمرفأ الجنوبي (المصري) مسدود بخط من الصخور المغمورة بالماء وقد سويت ونقرت بيد الإنسان، ويحفظ هذه الصخور من أنواء البحر سد طويل بني في غربها وهو يتمم سد المرفأ الشمالي ولا بد أن الصخور المذكورة كانت تحمل فوقها عدة مبانٍ.

ومن قلعة البحر يعود الزائر إلى البرويسير مدة على الرصيف، ثم ينفذ نحو اليسار إلى سوق جميل جداً في وسطه على اليمين خان الفرنساوي وهو أبدع الخانات التي بناها الأمير فخر الدين وخربتها معاول الهدامين وهذا الخان يقع شمالي السراي القديمة، وهو كمثل غيره من الخانات يحتوي على ساحة واسعة مستطيلة تحدق بها

أروقة، وفي وسط الباحة حوض ماء، وقد كان هذا الخان في القرن ١٩م مقر القنصل الفرنسي والرهبان الفرنسيسكانيين أما الآن فقد اتخذه راهبات القديس يوسف قيماً للبنات وعلى سطح هذا الخان منظر جميل نحو المرفأ الشمالي وقلعة البحر.

ويستمر الزائر في مروره وسط السوق نحو الجنوب ثم يفرق نحو اليمين فيصل إلى ساحة صغيرة يشاهد فيها مقهى قام مكان السراي القديمة، والجامع المنسوب إلى هذه السراي (وفيها أعمدة أثرية) ثم يغادر هذه الساحة فيأخذ نحو الجنوب شارعاً يمتد في طول السراي القديمة. وفي منتهى هذا الشارع يدور إلى اليمين ثم إلى الشمال فيمر من أمام جامع الكشكية. وفيه مجموعة جميلة من القاشاني الدمشقي الأزرق والأخضر، تزين جوف إحدى قباب حرم هذا الجامع، وثمة حديقة، ثم بعد الجامع يدور إلى اليمين فيصل فيما بعد إلى الجامع الكبير الذي يقع في منتهى بستان برتقال جميل.

يشرف هذا الجامع في الغرب على شاطىء البحر وقد بني هنا فوق سطح عالٍ جعله في هيئة الحصون. وكان هذا الجامع في ما مضى كنيسة للفرسان الاستباريين في القرن ١٣م ولا يزال يحمل الجدران الأربعة لتلك الكنيسة المستطيلة. أما القباب فحديثة. أما طوله فثلاثون متراً في عشرة. ويتقدمه في شمال المئذنة دهليز قد سقف بقبة صغيرة وعليها المئذنة وفي وسط هذا الدهليز حوض للوضوء قد زين بأعمدة أثرية قد طليت تيجانها للأسف بطبقة من الكلس. وفي الأرض الأبراج التي شرقي الجامع كان يقوم فيما مضى قصر الأمير فخر الدين. وفي جانب الجامع إلى الجنوب مدرسة المقاصد الخيرية الإسلامية، في باحتها منظر جميل يستحق المشاهدة.

وإذا عودة على أثره يستمر في سيره في الشارع المتجه إلى الشرق وفي عدة أزقة آتاوية، إلى أن يبلغ بعد باب عتيق وساباط معقود غريب الشكل إلى قلعة المعزة. بنى الصليبيون هذه القلعة مكان الآسيلال أرفع بناء فينيقي في صيدون القديمة وذلك في أول عهد استيلائهم على صيدا (القرن ١٢م) ويظن أن القديس لويس قد أقام فيها زمناً طويلاً ولذا يدعوها الإفرنج قلعة سان لويس، ومن المحتمل أن العرب دكوا هذه القلعة بالمرة ثم أعادوا بناءها. وهي قائمة فوق خرشوم يقسم مدينة صيدا إلى

قسمين، لأنه يشرف على كل صيدا إشرافاً عالياً يجعلها تحت إشرافه، وهذا الخرشوم أو التل بعضه صناعي، يتألف من نواة قد تضخمت بانتظام في عدة أماكن منها على أثر تراكم الأنقاض خلال العصور المتوالية. ويحتمل أن القسم الثاني منها كان مسكوناً منذ النصف الثاني للألف الثانية بينما في القسم الشمالي بضعة آثار ذات شأن لعمائر يونانية رومانية، وفي القسم الجنوبي قد أعليت جدرانه مؤخراً تبعاً لبعض ذوي الآراء الضالة. هذا وينفذ إلى داخل السور من ممر معقود ويبدأ يلحظ من حين سيره من الشمال أولاً في الجهة الشرقية برجاً ثلاثة أرباعه مستطيل الشكل وجهته الخارجية مدورة ثم يلحظ جداراً عالياً (يطل على طريق صور) مؤلفاً من رخام ضخمة مع بضعة أحجار من ذوات النحت المحدودب، ويظهر أن الباني قد عمل في هذا الجدار باستعجال، ولعله الملك الظاهر بيبرس، الذي اضطر إلى رفع إعادة بناء هذه التحصينات بعد أن استولى عليها ليجعلها في مأمن من الغارات. وأخيراً يلاقي أطلال برج قد خربه الأهلون من عهد قريب كان مبنياً بأحجار صغيرة تشبه التي في البرج والصرح ثم يتقدم فيلاقي الصرح المتجه إلى الجنوب. والواجهات الثلاث في هذا الصرح القائمة في الداخل مستوية، بينما التي تتجه نحو الجنوب مدورة. والحجارة التي يبنى عليها على غير اتساق، وثمة عدة مدارج توصل إلى باب واطىء يقع في منتصف الواجهة الغربية وينفذ من المدخل إلى بهو مسقوف بعقد بيضي تحمله دعائم مبنية على شكل مربع وفوق الكل سطح يحيط به جدار بعضه خراب، قد ثقبت فيه عدة مزاغل وإذا استمر في تقدمه نحو الغرب يجتاز باحة فارغة فيجد جداراً عالياً حجارته في الحواجز الداخلية مؤلفة من الرخام الأثرية الضخمة، وهو يتصل بباحة صغيرة مربعة قد خرب نصفها، ثم يصل الزائر إلى برج يقع في الشمال الغربي (ثلاثة أرباعه مستطيل الشكل وذو جهة خارجية مدورة)، وكل واجهته الشمالية تتألف من جدار رديء واطيء مؤلف من حجارة تحيط زقاقاً صغيراً وبساتين، وكان مكريدي بك مندوب متحف استنبول والدكتور كونتو نقبا في أرض هذا التل سنة ١٩١٤ ثم استأنف الثاني هذا العمل لوحده في سنة ١٩٢٠ فوجدوا بقايا قرمود لأواخر الألف الثانية قبل الميلاد وللعهد اليوناني الروماني أخصها قطعة عاج جميلة حفظت في متحف بيروت.

وإذا سار نحو جنوب القلعة يلحظ تلاً مؤلفاً من الأنقاض يدعى تل الصوف قد تضخم بفضلات معامل الأرجوان علوه نحو ٤٥ م وطوله نحو ١٠٠م، وفي قمته مقبرة طائفة الشيعة وهناك الصيدونيون يلقون ما يتراكم في معاملهم من فضلات المواد التي يستعملونها فكانوا يكسرون الصدفة الصغيرة المسماة (موركس) ويستخرجون المادة الصباغية المعروفة بالأرجوان، وفي المقبرة المذكورة منظر جميل يمتد نحو المرفأ الجنوبي أو المرفأ المصري.

إن هذا المرفأ يشبه في شكله جوناً عريضاً إلا أنه لا يدفع أذى الرياح الغربية والقبلية كما ينبغي أو كما هو الحال في مرفأ صور الذي كان له عدة سدود قد اندثرت الآن. وقد طمر الأمير فخر الدين هذا المرفأ الجنوبي أيضاً والداخل ضمن سور المدينة القديمة.

وعند قلعة المعزة إلى الشرق يبلغ الشارع الكبير (طريق صور)، فيسير فيه نحو الشمال ماراً من أمام مدرسة الفرير (المريميين)، وعلى اليسار فوق مدخل المدرسة قسم من عتبة أثرية. ويستمر حتى مكان التقاطع مع طريق بيروت. حيث السيارة التي تركها. فيركبها ويتوجه في طريق صور إلى مسافة ٢كم حتى الجسر الذي على نهر البرعوث (وهو سيل يجف في أكثر أيام السنة) فيترك السيارة هناك ويسلك نحو اليسار طريقاً على الضفة اليمنى للنهر المذكور، ويترك وهو سائر أول طريق يصادفه على اليمين ويظل متجهاً نحو درب السن، ثم بعده بعدة مئات من الأمتار يترك بطن النهر المذكور ليسلك طريقاً ثانياً متجهاً إلى الجنوب، إلى أن يصل إلى أرض واسعة فيها تلان الغربي منهما (الأيمن) يحتوي على مغارة تدعى مغارة عبلون، وصحيحها مغارة أبو لون الإله اليوناني.

يتقدم هذه المغارة في الجنوب دهليز صغير وكانت جدرانها الداخلية فيما مضى مطلية بملاط ملون قد سقط الآن كله. وكان محفوراً على يمين هذه الجدران ويسارها وفي صدرها كوة معقودة معدة لاستيعاب نواويس الموتى، وقد أصبحت الآن هذه النواويس مكسرة أو مكسورة. وثمة حيصة صغيرة متصلة بخارج الحاجز الشرقي لهذه المغارة كانوا وجدوا فيهاسنة ١٢٧٢هـ/١٨٥٥م الناووس الشهير العائد للملك إشمنعزار الثاني، وكان من الحجر البازلت الأسود وعليه كتابة فينيقية ذات

٢٣ سطراً يلعن بها هذا الملك كل من يتجاسر على إزعاجه، فنقلوا هذا الناووس وغيره من العاديات التي وجدوها حوله إلى متحف اللوفر بباريس، ووجد وقتئذ أرنست أرنان وبعده كاياردو مغاور مقبرية عديدة مبثوثة في هذه الأماكن، وفي الثاني أكثر تموجاً يقع إلى الشرق ويحسب القسم الثاني من المقبرة.

وجاء الدكتور كونتينو في سني ١٩١٤ ـ ١٩٢٠ واستأنف التنقيب في قطعة مثلثة الشكل بين التلين المذكورين فعثر على مغارة مقبرية واسعة من عهد متأخر في العصور القديمة، والفائدة في هذه المغارة أنها واسعة المساحة كثيرة التعقيد في تخطيطها لا يقل عدد غرفها عن العشر وفي قرب هذه المغارة وجد المسيو كونتينو المذكور وماقريدي بيك مندوب متحف الأستانة الذي كان يرافقه ويراقبه، ناووساً جميلاً عليه كل رسوم ومزايا السفن التجارية الرومانية في العصر الميلادي الأول، وهذا الناووس الآن في متحف بيروت.

ويمكن تقسيم المغاور المقبرية في هذه المقبرة إلى ثلاثة أصناف ١ ـ القبور القديمة جداً، وهذه عبارة عن آبار مستطيلة الشكل عميقة وبدون مدارج، وفي قعرها أبواب تنفتح نحو الجوانب الصغيرة، التي جعل الواحد منها تجاه الآخر، في كل منها غرف مستطيلة الشكل أيضاً منفصلة بحواجز، قد نفذت فيها النواويس وهذه النواويس عبارة عن أجران من المرمر لها أغطية محدودبة، ليس عليها زخارف، لكن بعضها قد نقش عليها رأس بارز. ثانياً المغاور ذات العقود التي فيها كوى جانبية لوضع النواويس، ينزل إليها بدرج، وهذه المغاور يكثر عددها خاصة في القسم الجنوبي الشرقي من المقبرة، لكن نواويسها إما من التراب المشوي وإما من التي عليها رسوم أكاليل. ثالثاً المغاور المطلية الداخل بالكلس والرسوم، التي يظهر فيها تأثيرات أمم شتى يونان ورومان ونصارى، ويكثر في الكتابات اليونانية، وليس من النادر العثور على نواويس من الرصاص.

## ضواحي صيدا

آ ـ **البساتين** ـ لابد من زيارة بساتين صيدا الغناء الجميلة، وهي تحدق بالمدينة من كل الجهات، ولا يمكن تعيين خطط لهذه الزيارة، فحيثما اتجه السائر يجد نفس الروعة والجمال. ويكفي أن يوقف السائح سيارته في طريق بيروت ـ صيدا أمام أحد الأبواب العديدة الهامة بهذه البساتين وينفذ إليها بعد الاستئذان، بيد أنه يمكن أن نوصي بطريق هو الممتد من صيدا نحو الشمال المحاذي للبحر مسافة نحو كيلو متر حتى قرية الرملة . ينفصل من هذا الطريق الساحلي طريقان يلاقيان بعد وسط البساتين طريق بيروت ـ صيدا.

٢ ـ **هيكل أشمون** ـ للوصول إلى هيكل أشمون يسلك القاصد طريق صيدا ـ بيروت حتى مسافة ٤.٥ كم إلى شمالي صيدا وقبيل الوصول إلى الجسر الذي على نهر الأولي يترك السيارة ويسلك مجازاً على اليمين (نحو الشرق) يفضي بعد عشر دقائق إلى مكان اسمه بستان الشيخ فيجد فيه أطلال هيكل أشمون.

كرس الصيدونيون في زمنهم هذا الهيكل إلى أشمون الذي وجدوا فيه أدونيس وأسكولاب، وكان هذا الهيكل قائماً فوق باحة مكشوفة تقع في منتصف ارتفاع أكمة تشرف على الضفة اليسرى لنهر الأولي، وطول هذه الباحة ١٢ متراً، كان قد قام فوقها وفي منتصفها على التقريب جدار جميل نصفه خراب أسند ظهره إلى الأكمة. وحجارة هذا الجدار محدودبة ومن التي تدعى أحجار تشيك، وعرض هذا الجدار من المدماك الثاني ١٣م وعلوه ٤م، ويظن المسيو كونيتو أن هذا الباقي منه كان مخصصاً لحجب القسم العالي من الأكمة ولذا فقد جعل في الصدر ليؤلف أحد الجوانب الداخلية للساحة، والباحة المكشوفة كانت قائمة على قمة سطح نصفه منقور في صخر الأكمة التي نصفها صناعي، وهي مؤلفة من تراب وحجارة مجبولة وقد عثر على أساس الجدران التي كانت تؤلف واجهات هذا السطح يوصل إليها بصعوبة في مجاز صغير يقع في أسفل الباحة، والجدار الشمالي يؤلف الواجهة الأكثر اقتراباً إلى النهر، كان يمسك التراب ويتألف من خراستين من الحجارة متوازيتين وقد رأى الملك بود آختار خليفة اشمقدار أن يدعم هذا الجدار فألصق به

جداراً جديداً مؤلفاً من ثلاثة فرش من الحجارة. وقد عثروا على كتابات فينيقية سالمة كل السلامة وذات فوائد كلية، وذلك في مكان ارتباط أحجار الفرش الثلاثة الفارقة في أحشاء الجدار المذكور، ومنها ما عثروا عليه في المكان الذي كان واجهة الجدار القديم الذي سترته عمارات التدعيم وكانت الكتابات المذكورة مخبأة وخاصة بالإله. وقد اضطروا أثناء التحري عن هذه الكتابات إلى تفريغ جوف الجدار فحدث فيه سرداب حقيقي ينفذ إليه بسهولة.

إن الكتابات التي استخرجت من هنا وتوزعت في متاحف مختلفة (منها متحف بيروت) ذات نموذجين مختلفين، فالأولى وهي الأطول لا تبحث إلا عن الملك تبداختار وتعد بعض الأقسام من صيدون القديمة والثانية تبحث عن الملك من اختار وابنه.

وعلى مقربة من الهيكل وجد المسيو دونان قطعاً مهمة من العهد اليوناني (تماثيل أولاد، فسفيساء.. الخ) وفي رأيه أن اقتصاديات هيكل اشمون تنبىء إلى حد ما عن الوقف السياسي لصيدون في عهد الفرس، ونحن في هذا الوضع الراكبة طبقات بعضها فوق بعض سنجد أحد المؤثرات من الطريقة المرينة الغالية على فن الريازة الفارسية الأخمينية.

وتجاه هيكل أشمون وعلى الضفة اليمنى لنهر الأولي وقرب قرية المعز نقر الدكتور كونيتو مغارة في الصخر، فوجد فيها نصباً غريباً من الفسيفساء من القرن الثالث أو الرابع الميلادي. وبيوت القرية المذكورة نفسها مبنية بأحجار جميلة متقنة مأخوذة من مبان قديمة جداً بعضها من حجارة التشيك وبعضها من ذات النحت المحدودب كالموجودة في هيكل أشمون.

٣ ـ **الميه والمية**. يمكن بلوغ الأكمة المسماة بالمية والمية في مجاز صالح للسيارات (طوله ٣ كم) يتجه نحو الشرق بعد أن ينفصل عن طريق صيدا ـ بيروت عند الخروج من صيدا. وتقوم في سفح هذه الأكمة مبانٍ ضخمة لمدرسة البنات الأميركية. وقصر فورد وهو مدير البعثة الأميركية السابق وقد وجد هذا الرجل في حديقة قصره ٢٥ ناووساً ذات أشكال بشرية من القرن الرابع والخامس قبل الميلاد. ويظن أن بعض هذه النواويس من صنع فنانين فينيقيين وبعضها من صنع فنانين يونان. أحدهما يمتاز بدقة خاصة في نحته، ولا ريب في أنه من صنع أحد اليونان ووجد الرجل المذكور،

أيضاً تيجان أعمدة عليها بروثوم ثيران لا ريب في أنها جلبت من القصر الذي بناه داريوس ملك الفرس في صيدا.

تقوم في ذروة الأكمة البناية العظيمة الحديثة للمدرسة الأميركية الخاصة بالبنين، وقد استعمل في زخرفة أبهائها الداخلية أعمدة أثرية جميلة من حجر السيئينيت الوردي كما أن في باحتها ناووسين أثريين ونوصي بالوصول والنزهة إلى هذه المدرسة لأن فيها مجالاً للاستمتاع بمشهد غاية في الروعة نحو صيدا والبحر من جهة، ونحو الجبال من جهة أخرى.

٤ ـ **الولي النبي يحي** ـ في شمالي المية ومية أكمة سهلة البلوغ من طريق بين البساتين، تحمل في منحدراتها مزار النبي يحيى، وهو بناء ربما قام مكان معبد من عهد الكنعانيين، كما قامت أيضاً الكنيسة المارونية المنسوبة إلى مار الياس وهي في مكان قريب يعلو قليلاً عن المزار المذكور.

٥ ـ **سيدة المنظرة** ـ عند الخروج من صيدا نحو الجنوب يترك على اليمين طريق صيدا ويأخذ درباً صالحاً لسير السيارات يفضي إلى درب السن على اليمين، بعد عشر دقائق من السير يقوم مزار النبي سيدون الذي يزعم اليهود أنه ضريح زابولون ويحجون إليه وبعد أن يترك على اليسار عدة دروب، أبعدها في الجنوب يفضي إلى المقبرة الفينيقية (تقدمت..) وفي الدقيقة ١٥ بعد نهر برغوث، وكان اسمه قديماً ثم يترك على اليسار صخرة (مغارة عبلون)، ثم يجتاز في الجنوب الشرقي سهلاً مزروعاً ثم يعبر في (الدقيقة ٤٠) نهر السنيق وهنالك صعدة تدوم نصف ساعة (طريق صالح) تفضي إلى معبد نصراني اسمه سيدة المنظرة وهي كنيسة صغيرة منقورة في الصخر يزعمون أنها كانت مخصصة للعشتروت، ويحج النصارى إليها بكثرة كل سنة في ٨ أيلول، وفي الطرف الشمالي من الأكمة التي قامت فوقها الكنيسة المذكورة يوجد أطلال قصر محصن اسمه (قصر المنطرة) ويظن أنه أحد حصون النظارة والمراقبة التي بناها الصليبيون ولم يبق من هذا القصر سوى صهاريجه وفي هذا المكان منظر جد معجب نحو صيدا. وعلى بعد بضع مئات من الأمتار في الجنوب الشرقي من سيدة المنظرة يوجد قرية مغدوشة، وفيها تزار مغارة قديمة تحتوي على

صورة امرأة منحوتة نحتاً ضخماً، ومن مغدوشة يمكن الرجوع إلى صيدا خلال ساعة ماراً بمغارة الزيتون وعين الزيتون.

**٦ ـ جون (ضريح اللادي ستنهوب) دير المخلص وقلعة أبو الحسن ـ** (جولة تستغرق نحو ٢٠ كم) يغادر صيدا من طريق بيروت ـ في الكم ٥ بعد عبور نهر الأولي فوق جسر يأخذ على اليمين طريقاً يتجه نحو الشرق إلى الجبل ـ ويجتاز الطريق البساتين الجميلة الممتدة على ضفة نهر الأولي كما يجتاز قرية مشع وفي الضفة اليسرى يلحظ وسط الأنجم والأعشاب الخضراء أطلال هيكل أشمون وقد تقدم، في الكم ٦ ينعطف نهر الأولي نحو اليمين عطفة جميلة بين البساتين، ويرى السائر هنالك قرية غوسطا المشرفة على النهر ـ في الكم ٧ يدور الطريق حول وادٍ يجري فيه أحد روافد نهر الأولي، ثم يشرع بالتوقل ـ في الكم ٨ ينحرف الطريق نحو الشمال صعوداً بين آكام طباشيرية جرداء بالكل ية ـ في الكم ٩ قرية عواد ـ في الكم ١١ يشرف على وادي نهر الأولي وهو على اليمين، وضيق في هذا المكان للغاية ـ في الكم ١٤ بعد اجتياز كروم زيتون جميلة ينفذ إلى قرية كبيرة اسمها ظهر حون.

وبعد جون يسير ـ في مجاز يعبر مسيلاً في شمالي القرية فيبلغ خلال ٢٠ دقيقة قمة أكمة واقعة في الشمال الغربي مغروسة بالزيتون والتين والرمان وغيرهما في هذه القمة حوش مزرعة تحضن دير المخلص للروم الكاثوليك، وهذا الدير قديم محول وكان مسكن اللادي استرستنهوب، أما ضريحها فهو في الجنوب الغربي من الدير قد ظللته أشجار جميلة من الزيتون وهذا الضريح مؤلف من أربعة مداميك حجرية وعليه بلاطة من الرخام نقش عليها اللادي استيرلوسي ستنهوب، ولدت في ١٢ آذار ١١٩٠/١٧٧٦ وتوفيت في ٢٣ حزيران ١١٥٢/١٨٣٩.

نشأت هذه السيدة من أسرة نبيلة، لأن جدها اللورد شاتهام وعمها ويليم بيت وقد كانا من أقطاب السياسة والحكم في المملكة البريطانية، وأبوها شارل كونت استانهوب العالم الكاتب الشهير (١٧٣٥ ـ ١٨١٦) وكانت هذه السيدة ذات ذكاء ونشاط خارق للعادة، ولذا صارت مساعدة لعمها حتى موته سنة ١٢٢١/١٨٠٦، وقد بلغ بها الأمر أن أصبحت اقدار انكلترا بيدها خلال بضع سنوات.

وبعد موت عمها ساقها دهاؤها السياسي ودهاؤها بالسيطرة والحركة إلى أن تأتي الشرق سنة ١٨١٠/١٢٢٥ وظهرت في أول الأمر بشكل سائحة عادية، فطافت أنحاء الشام كلها فزارت القدس ودمشق وحمص وبعلبك فجاءت أولاً إلى اللاذقية فأقامت فيها وتعلمت العربية، ثم تهيأت للتجول في الأماكن التي كان يعسر الوصول إليها من البلاد العربية وبراريها للقيام باكتشافات جديدة، فظهرت بادىء بدىء بمظهر سائحة عادية وبلغت بها الجرأة والمغامرة أن اتصلت بالبدو وذهبت تحت حمايتهم إلى تدمر التي كان الوصول إليها في تلك الحقبة شبه مستحيل أو ضرباً من المجازفة، وقد جهزت قافلة كبيرة وحملت إلى البدو هدايا نفيسة، وفي تدمر جعلوها كملكة وكانت هي تضاهي زنوبيا في أعمالها. ثم لم تلبث أن اشتركت فعلياً وعن كثب في رياسة البلاد وكانت غريبة نالت منزلة عند عبد الله باشا والي عكا والأمير بشير الشهابي وإبراهيم باشا المصري وغيرهم، وصادف أن اغتيل وقتئذ ضابط فرنسي اسمه الكولونيل بورتين في جبال النصيرية فتمكنت اللادي أن تحصل من باشاوات عكا وطرابلس على تجريدة عسكرية قادتها بنفسها وذهبت لمقاتلة ومقاصصة المعتدين. وكانوا يلقبونها بالست، وكان لها تأثير واحترام زائدان لدى الباشاوات والشيوخ حتى لدى أخصامها فضلاً عن أصدقائها وفضلاً عن الطبقة العامة من الشعب.

ثم في سنة ١٨١٨/١٢٣٤ آوت إلى قرية جون وبنت لها داراً فيها واعتزلت العالم كله. وعاشت من يومئذ عيشة انزواء وانفراد وشذوذ، تستقبل عدداً ضئيلاً من السياح مثل لامارتين في سنة ١٨٣٢/١٢٤٨ إلا أن نشاطها لم يخمد خلال ذلك، فقد كانت خصماً لدوداً للأمير بشير الشهابي سيد لبنان في تلك الحقبة وقد استطاعت أن تجعله يحترم جانبها. ولما استولى ابراهيم باشا على عكا في سنة ١٨٣٢/١٢٤٨ آوت في منزلها مئات من الفارين واللاجئين من عكا وشاكست الباشا المشار إليه كما شاكست الأمير بشير. وفي سنة ١٨٣٨ حرضت الدروز خفية على الثورة. وفي آخر عمرها كانت افتقرت بحكم التبذير والبذخ اللذين اعتادتهما، فاحترفت السحر والتنجيم إلى أن ماتت سنة ١٨٣٩/١٢٥٥ في جون بائسة منبوذة ونهب قصرها وخرب (راجع ترجمتها في دائرة المعارف ج٣ ص ٤٤٠).

وبعد جون ينحرف الطريق نحو الشمال ويجتاز أكمة، وهنا يتمتع السائر بمنظر رائع لسلسلة الجبال المؤلفة في اليمين من جبل الريحان (وهو إلى الجنوب) وفي اليسار من جبل الباروك (وهو في الشمال) ثم يلحظ على اليمين دير المخلص، ويهبط الطريق هنا، وهو من تخطيط رهبان الدير المذكور، ويدور في الشمال حول الأكمة التي قام عليها الدير، ثم يجتاز في الكم ١٦ غابة صغيرة من الصنوبر فيبلغ في الكم ١٨ الدير من جهته الشرقية بعد دورة طويلة.

إن هذا الدير المنسوب للمخلص يعود إلى آباء الرهبنة الباسيلية السالفاتورية، أسس سنة ١١٢٣هـ/١٧١١م وهو يتألف من الدير نفسه ومن مدرسة اكليريكية، وعلى مقربة منه نحو الشرق دير آخر للراهبات ودار للمبتدئات في الرهبنة، ولكرم رهبان هذا الدير ووفادتهم شهرة معروفة وذائعة في لبنان.

دير المخلص مجاز يهبط إلى وادي نهر الأولي يفضي خلال ساعة إلى قلعة (أبي الحسن) وهي قلعة صغيرة مبنية بناء يستحق التصوير فوق شنخاب صخري يمتد من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي، علوه ٨٠م وعرضه في القمة ١٠٠م، ويقع عند إحدى عقد النهر. وهي خراب بالمرة، وكانت تشرف وتحرس وادي نهر الأولي، ويدل مظهرها أنها عربية، يدخل إليها من باب في الجنوب الغربي مفتوح ضمن بناء، وبعد اجتياز هذا الباب يبلغ في الشرق إلى باب سري، وبعد هذا يصل إلى القلعة القائمة فوق الشنخاب، فيجد من آثارها أطلال الجدران. وهنالك قبو كبير يمتد في جوف الشنخاب في كل طوله.

## من صيدا إلى جزين (٣٨ كم ، طريق معبدة)

يترك صيدا من طريق بيروت . في الكم ٢ يسلك على اليمين طريقاً يتجه نحو الجبل . في الكم ٣ على اليسار درب صالح للسيارات يفضي إلى قرية الرامية وإلى أملاك الأسرة الجنبلاطية، وهناك منظر رائع نحو صيدا وبساتينها وهذا الدرب يلحق بعد بطريق بيروت (تقدم) وفي جنوبي أكمة الرامية وغربيها نقب الدكتور كونيتو كهوف مقبرية فيها صور ملونة.

ثم يجتاز الطريق قرية الهلالية، وسكانها موارنة وروم كاثوليك، ومن المحتمل أن كنيسة هذه القرية قد بنيت بأحجار أثرية، وفي سفح الأكمة التي ركبت القرية عليها قد نقرت قبور من عهود ونقبها الدكتور كونيتو فاستخرج منها ناووساً لأشمنغر من الرخام الأبيض على شكل الإنسان وضع فيما بعد في متحف بريت، وفي جنوبي القرية بئر مقبري من عهد عريق في القدم مسقوف بعقد خراب، وإلى الغرب منه بمسافة وفي مكان أوطأ مغارة اسمها مغارة الكتابات فيها خمس غرف جانبية على اليمين وعلى اليسار ثم غرفتان مندثرتان قد رسمتا بالألوان المغطسة بماء الكلس ورسوم زخرفية. وكل هذا يدل على وجود مدرسة حقيقية للرسم الزخرفي لدى الصيدونيين. إن آثار هذه المدرسة متسلسلة على امتداد عدة قرون مع مطابقة للواقع لا خلاف عليها هذا وكان في الاتجاه الممتد في ظهر الأكمة مبان ولعل أحد معابد الصيدونيين المشهورة كان موجوداً هنا.

ولا ريب في أنه كان في الوقت نفسه هو والآكام المجاورة موقع مدينة صيدون يام أي صيدون البرية المذكورة في كتابات هيكل أشمون.

ثم يصعد الطريق في منعرجات عديدة فيبلغ (في الكم ٥) قرية عبرة المارونية، تحيط بها كروم الزيتون والتين والعنب . في الكم ٦ قرية كرم الحنش، وفي أول هذه القرية بيت منفرد للسيد أنيس جبرائيل عنده عاديات، منها تمثال متدثر مقطوع الرأس وجد منذ سنين عديدة. وبعد هذا البيت كنيسة منفردة على ضفة الطريق . في الكم ٨ قرية الصالحية، مارونية وروم كاثوليك، مبنية فوق أكمة، وفيها عين ماء جيدة مسقوفة بعقد في جوارها عدة مقابر أثرية . في الكم ٩ على اليمين قرية كفر

جرا، وفيها فواخير لصنع الجرار، وفوق أكمة شهباء وجدوا مقابر عديدة من أجيال مختلفة تبدأ من أول الألف الثاني إلى سنة ١٥٠٠ أو ١٤٠٠ ق.م ولا ريب في أن كفر جرا كانت من أماكن الكنعانيين.

في الكم ١٢ لبعا، وهي قرية وجدت فيها قبور أقدم من التي في كفر جرا يعود بعضها إلى الألف الثالث قبل الميلاد.

في الكم ١٤ على اليمين قرية الإصطبل ثم يجتاز الطريق روابي صغيرة من الكلس الأبيض . في الكم ١٦ ، يعود للهبوط، على اليمين وادٍ سحيق فيه نهر الشماس، في الكم ١٧ على اليسار قرية قديمة محصنة اسمها كفر فكلوس . في الكم ١٩ مخفر درك، يترك على اليسار درب خصوصي يفضي بعد ٢ كم إلى مزرعة صفارية . ترى عن بعد جون ودير المخلص . في الكم ٢١ ينحرف الطريق نحو اليمين (أي نحو الشرق) ويمر من أسفل قرية آنام، وعلى اليسار يصعد في منعرجات تزداد انتقاباً في منحدرات جبل الكاداء. في الكم ٢٧ على يسار الطريق بناء مدفني في الكم ٢٨ وفي أسفل قرية روم وعلى علو ٩٠٠م ثنية يعلوها مزار ولي يصلون إليه من طريق على اليمين . ثم ينحدر الطريق، وهنا منظر بديع على الوادي المكتظ بالحراج يترك على اليسار فرعاً يفضي إلى قرية عازور.

في الكم ٣٠ يجتاز غابة جميلة من شجر الصنوبر الحلبي، ثم يبلغ بعد اجتياز مرتفع كالخرشوم إلى العنصر الثاني للجبل . في الكم ٣٢ قرية الحمصية ثم يتوقل الطريق العضد المذكور ماراً بين أشجار الصنوبر، ويرى على اليسار فوق شنعوف مزار النبي ميشا. (يترك هنا على اليمين طريقاً غير منتهٍ بعد يمر في الكم ٢,٥ بقرية قيتولي وفي الكم ١٠ بجرجوة وفي الكم ١٢ بعرب سليم، وفي الكم ١٤ بجسر فوق نهر الزهراني، وفي الكم ١٨ كفر رمان، وفي الكم ٢٠ يبلغ الطريق الذاهب من صور إلى جديدة معودتيون (سيأتي) وبين قيطولة وجرجوة يترك هذا الطريق على بعد ٢ كم قرية كبيرة اسمها جباع، سكانها ٥٠٠٠ مسلمون، قامت وسط غوطة غناء لا تقل عدد عيونها عن ٢٥٦ عيناً.

في الكم ٣٤ يبلغ قمة العضد الثاني للجبل وتدعى ظهور الرملة، وفيها منظر غاية في الروعة والامتداد نحو الدائرة الجبلية الواقعة تحت إشراف كتلة تومات

جزين وربما شاهد بلدة صور وفي حضن هذه القمة تظهر جزين وشلالها. يترك على اليسار طريقاً له فرع يفضي في الكم ٢ منه إلى قرية بيت الدين وفرع ثانٍ في الكم ٢ منه أيضاً إلى دير ماروني اسمه المشموشة وهو في أسفل النبي ميشا وثمة منظر رائع جداً.

في الكم ٣٥ ينحدر الطريق في منعرجات منتصبة . في الكم ٣٦ على اليسار طريق يفضي في الكم ٣ منه إلى قرية بكاسين وجد فيها الرهبان اليسوعيون أحجار صوان من عهود ماقبل التاريخ (شلئينية).

ثم يشرف الطريق على وادي جزين السحيق الخضر النضر (وهو على اليسار) ثم في الكم ٣٨ ينفذ في أخدود عميق منقور في الصخر، بعده تبتدىء بيوت قرية جزين.

**جزين** - قرية، علوها ٨٣٠م وسكانها ٣٠٠٠ أكثرهم موارنة وأقلهم كاثوليك، وهي قاعدة مديرية ناحية قائمقامية تتبع لواء صيدا، وفيها عدة كنائس للطائفتين المذكورتين ومحكمة بداية ومخفر درك وبضعة فنادق كبيرة جميلة. وهي من أشهر المصايف المقصودة في لبنان ولاسيما من المصريين بعلوها المعتدل وموقعها البديع وشلالها ذي المنظر البهيج ومائها العذب وفاكهتها وخضرتها.

وجزين كانت في عهد الصليبيين هي والشوف من مقاطعاتهم الكبرى التابعة لسينورية صيدا، ثم تخلى عنها جوليان دوسايت إلى أصحاب الطريقة التونوية سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م.

يزار في جزين العين التي تنفجر في أعلى القرية من مجازة كالمغارة، ويزار الشلال الذي علوه نحو ٤ أمتار وتجري في وسط القرية من الشرق إلى الغرب قاسمة إياها إلى قسمين ومن ذلك اسمها وهو محرف عن جزئين واسمه شالون جوين، وإذا هبط الوادي ثم صعد إلى ضفته اليسرى يبلغ مغارة كبيرة تنسب إلى الأمير فخر الدين المعني، وهي تتألف من دهاليز منقورة في الصخر اختبأ فيها الأمير المذكور وألقي فيما بعد القبض عليه (نحو سنة ١٠٤٢هـ).

من جزين إلى مشغرة ودير عين الجوزة (١٣ و ٢٦,٥ كم إلى الشمال الشرقي، طريق شقه الجيش الفرنسي سنة ١٩٢٨ ولم يتم بعد، يدور حول كتلة تومات جزين ويفضي إلى وادي الليطاني بعد مشغره).

يترك هذا الطريق جزين من جنوبها ويسلك كورنيشاً شق) فوق واد سحيق يتركه على يمينه، في الكم ٢ يترك على اليمين طريقاً (وهذا لم يتم بعد) يتجه نحو كفر حونة والجرمون والجرمق. في الكم ٤ بعد تسلق أو عضد مؤلف من صخور هائلة فوق قممها وسحيقة يشرع بالتوقل في صعائد الجبل والنفوذ في واد يطل عليه السائر إطلالاً تاركاً إياه على اليسار. في الكم ٨ عقبة على علو ١٤٥٠م يشرف عليها من اليسار مخفر عسكري مهجور، ثم يعود الطريق بالانحدار في حضن واد يمتد حتى غريبية الفوقى ثم يرى على اليسار شنخاب جبلي يدعى تومات نيحا، وهي نجعة الرواد من السياح، لا ينقطع الهواء البارد منها ثم جبل لبنان الذي يحجب وادي الليطاني.

في الكم ١٠ يبلغ الطريق عقبة ثانية، وفيها يظهر بغتة منظر رائع نحو جبل الشيخ ومنابع وادي الليطاني التي تشرف عليها قرية يحمور ومن ثم يبدأ الطريق بالانحدار شيئاً فشيئاً نحو السفح الشرقي لجبل لبنان، فينحرف بشدة نحو الجنوب ويمر من أسفل شيفوفين اسمها تومات جزين (العلو ١٨٤٦م، مشهد رائع) وفيهما أطلال هيكل. في الكم ١٢ على اليمين مجاز دواب رديء يصعد إلى أن يبلغ ثلاث أشجار منفردة ويهبط بعدها نحو وادي الجنان حتى دير مزرع العائد للروم الكاثوليك. في الكم ١٣ يترك على اليمين قرية عين التينة. ثم يستمر الطريق في هبوطه وهو يخطط منحنياً واسعاً ويتجه نحو الشمال الشرقي فيبلغ مشغرة في الكم ١٨ وعينتيت في الكم ٢٢ وبوماريا في الكم ٢٧ أما قرية دير عين الجوزة ففي الكم ٢٦.٥ ومن هذه القرية طريق نحو شتوره شمالاً ونحو جديدة معودةيون جنوباً وقد تقدم وصف هذه القرى والطرق..

من جزين إلى جسر الخردلة (٣٤ كم، طريق غيركامل) يستمر في بادىء الأمر خلال ٢ كم طريق جزين. مشغرة، ثم يتركه على اليسار ويسلك على اليمين طريقاً متجهاً إلى الجنوب ثم يترك هذا الطريق الوادي ويتسلق أكمة في منعرجات عديدة عليها جلول متدرجة مفروشة بالعنب. في الكم ٨ على اليمين مبان مقبرية، ومن ثم يستمر في الهبوط في منعرجات في الكم ٩ كفر حون، قرية سكانها ٨٠٠ أكثرهم نصارى وأقلهم مسلمون شيعة. في الكم ١١ يترك على اليسار فرعاً للطريق يفضي

إلى مزرعة داريا، على اليسار وعلى بعد ٣٠٠ م قرية شيعية اسمها عرمتى. ثم ينحرف الطريق نحو اليمين (إلى الغرب) ويدور حول كتلة جبلية تحجب وراءها قرية الريحان. وهنا يستمتع بمنظر جميل على وادي الليطاني وبحيرة الحولة وجبل الشيخ. في الكم ١٧.٥ قرية الريحان. في الكم ٢٢ قرية عيشية وهي في بطن واد سحيق فيه جدول من روافد الليطاني يخرج من نبع المدينة. في الكم ٢٦ جرمق وفيها فرع للطريق ينشطر نحو اليمين (الغرب) ليلحق في الكم ٤ كفر رمان. في الكم ٢٩ يبلغ طريق صيدا - معودتيون على بعد ٥ كم من جسر الخردلة الذي على الليطاني.

من جزين إلى بيت الدين (٣٣ كم، طريق متشعث) - في الكم ١ يترك على اليمين طريق مشغرة المذكور آنفاً، ثم ينحرف نحو الشمال ويحاذي سطح الانصباب الشرقي لوادي جزين وثمة منظر رائع نحو هذا الوادي. في الكم ٦ في أسفل الطريق قرية شمرا، وفي أعلاه على اليمين يرى فتحة مغارة في لحف الجبل تتألف من ثلاث غرف منقورة في الصخر، وهنا تدعى قلعة جزين، وهي القلعة التي التجأ إليها الأمير فخر الدين المعني حينما أحاطت به عساكر الدولة وحاصرته فيها نحو شهرين ويمكن الوصول إليها من مجاز شديد الانحدار، ويفضل لمن يصيبهم الدوار أن يصطحبوا أحد الرعاة.

ويشرف الطريق على ملتقى نهر الباروك جزين اللذين يلتقيان هنا ليؤلفا نهر الأولي (بوستريتوس القديم) وعند هذا الملتقى مرج يدعى مرج البسري فيه بساتين غناء خضراء، وقد وجدوا فيه أربعة أعمدة من الغرانيت المصري علوها ٤ م وعرضها ١.٢٠ م ويسمون مكان هذه الأعمدة خربة بسري ولا ريب أنه كانت هنا مدينة التي كان نهر الأولي قديماً ينسب إليها فيدعى بوستريتوس ثم إلى مسافة نحو الغرب وعلى سطح الانصباب الجنوبي لوادي نهر الأولي يذكر وجود مدافن.

في الكم ٩ على اليسار قرية درويت. ثم ينحرف الطريق نحو اليمين ويدور حول واد جانبي يأتي من الشرق. في الكم ١٠ منظر رائق نحو جبل نيحا. في الكم ١١ شلال وطواحين ثم يبلغ قرية درزية تدعى باتر المحاطة بكروم الزيتون والجوز على اليمين مقابر تحت شجرتي سنديان أخضر. في الكم ١٢ على اليسار منظر بديع

على وادي نهر الأولي. من بعده يكشف المحدق البحر . وعلى اليسار قرية بيقون . في الكم ١٤ قرية جبلاي.

ثم يحاذي الطريق وادي نهر الباروك (على اليسار) . في الكم ١٦ يدور حول وادٍ جانبي يأتي من الشرق وفيه (أشجار توت وزيتون).

في الكم ١٧ قرية حارة جنيدلة، يرى على اليسار فوق سطح الانصباب المقابل قرية كبيرة اسمها مزرعة الشوف . في الكم ١٩ عماطور قرية درزية كبيرة، فيها في شرقيها عين ثرة ومناظرها جميلة . في الكم ٢٠ عين قنى قرية درزية، وفيها قصر قديم لآل جنبلاط . ثم يدور الطريق حول وادٍ جانبي يأتي من الشرق . في الكم ٢١ يجتاز شلالاً فوق جسرين ثم ينحرف الطريق نحو اليسار.

في الكم ٢٢ المختارة، قرية سكانها ٥٠٠ علوها ٨٥٠ قاعدة مديرية، وفيها قصر عظيم قديم جميل للشيخ بشير جنبلاط عميد عائلة جنبلاط الذي كان معاصراً للأمير بشير الشهابي الكبير وجرت إليه المياه من نهر الباروك مسافة نحو ساعتين في قناة أكثرها منقور في الصخر، وتجتمع مياه هذه القناة الكبيرة بمياه عماطور وباتر ونيحا وعارية وعذبية وجزين في محل يسمى المرج (مرج بسرى) وتسير بعدئذ في وادٍ يفصل إقليم الخروب عن إقليم التفاح، هذا ويمكن زيارة هذا القصر بعد الاستئذان من السيدة (نظيرة جنبلاط) وهو محاط بأشجار سرو جميلة، وعلى بعد منه طاحونة تنبجس منه المياه بشدة ورغوة رائعتين.

ومن المختارة طريق خط الأهلون يفضي بنحو ١٠ كم إلى قرية معاصر الشوف التي فيها غابات الأرز. في الكم ٢٤ جسر على نهر الباروك ، في الكم ٢٥ قرية الجديدة في الكم ٢٦ إلى الوراء مشهد غاية في الروعة نحو المختارة ونحو جبل الباروك في الشرق ونحو جزين وشلالها في الجنوب.

في الكم ٢٧ يتسلق الطريق نجداً فيه مشهد غاية في الروعة نحو جبل الباروك، وهناك على اليمين وفي أسفل الطريق عين الحصرين.

في الكم ٢٨ هبوط في منعرجات، على اليسار فوق أول أكمة قرية السمقانية، على اليمين عين ماء اسمها السوق وهي على حافة الطريق.

في الكم ٣٠ يصعد الطريق في منعرجات أيضاً ثم يعود للهبوط، وهنالك منظر جميل نحو دير القمر الذي يفصلها عن هنا وادي الحمام.

في الكم ٣٢ يترك على اليسار طريقاً يفضي إلى بعقلين وهي قرية درزية كبيرة سكانها ٣٠٠٠ كان لها شأن يذكر في تاريخ لبنان وقد بناها المعنيون حينما دخلوا الشوف. وكانت في بادىء الأمر مقر حكومتهم حتى انتقلوا إلى دير القمر، وهي الآن قاعدة قضاء الشوف ومركزه الصيفي وفيها بعض الآثار الباقية من عهد آل معن، وسراي للحكومة ومستشفى إنكليزي ومدرسة إنكليزية ولذا تجد أكثر مثقفي الدروز من رجال ونساء من خريجي المدارس الإنكليزية المنتشرة في قراهم منذ عشرات السنين.

ثم بعد بعقلين يستمر هذا الطريق في هبوطه نحو الساحل ماراً بغريفة وشحيم. في الكم ٣٣ بيت الدين .

من صيدا إلى جديدة معوديون - عن طريق حصن الشقيف (٥٧.٥ كم، إلى الجنوب الشرقي، طريق معبدة). يترك صيدا نحو الجنوب ويسلك طريق الناقورة - في الكم ٩ مصب نهر الزهراني - وفور عبور الجسر الذي على هذا النهر يسلك طريقاً إلى اليسار يتجه نحو الشرق ويصعد في منعرجات تاركاً على يساره وادي نهر الزهراني الذي يطل عليه فوراً، وفي بطن الوادي المذكور جسر قديم محدودب الظهر - ثم يلمح على اليسار (في الكم ١٣) قرية المسيلة في الكم ١٦ يشرف في اليسار على واد سحيق هائل ، وثمة منظر أنيق نحو جبل الريحان وجبل نيحا. في الكم ١٧ مزرعة خان محمد علي، على اليمين في الكم ١٨.٥ على اليمين قرية زفتى وهي تطل على الطريق من علٍ، وعلى اليسار وفوق شنعوف وفي الضفة الأخرى من الوادي قرية خزيز.

ثم يغادر وادي نهر الزهراني تاركاً إياه على اليسار - في الكم ٢٤ على اليسار قرية كفر الجوز وهي فوق شنعوف - في الكم ٢٥ على اليسار قرية دير الزهراني، وهذه قامت في مكان أثري تدل عليه قطع الأعمدة الكثيرة - في الكم ٢٦ في الضفة الأخرى من الوادي وعلى اليسار يلمح قرية رومين.

في الكم ٢٧ قرية تل حاموش، فيها خان مسقوف وبركة قديمة (نبجس ماؤها من قعرها لعمقها الزائد في أراضٍ كلسية)، وهناك مقبرة على اليسار فوق نشز. في الكم ٣٠ يصعد الطريق ثم يهبط.

في الكم ٣١ يترك على اليسار طريقاً طوله ٢٠كم، لم يتم بعد، يتصل قرب قرية الحمصية بطريق صيدا إلى جزين، وهو يمر في الكم ٢ بقرية كفر رمان مقر يوسف بك الزين أحد كبار ملاكي هذه الأنحاء، وفيها أطلال هيكل روماني. في الكم ٦ جسر على نهر الزهراني. في الكم ٨ عرب سليم، في الكم ١٠ جرجوة، في الكم ١٢,٥ قيطولي. وفي كفر رمان فرع طوله ٤ كم يصل الطريق المذكور بطريق جزين. كفر حونة. جسر الخردلة.

في الكم ٣٣ نبطية التحتى، قرية كبيرة، علوها ٤٥٠م، سكانها ٣٤٠٠، كلهم مسلمون جعفرية إلا عدد ضئيل من النصارى وهي من كبريات عواصمهم وقاعدة مديرية وفيها محكمة صلح، وموقعها المتوسط جعل لها مركزاً تجارياً هاماً ويقام فيها كل يوم ثلاثاء سوق عامة كبيرة يتهافت إليه الألوف من كل هذه الأنحاء، وفيها مسجد جامع يدعى الحسينية وكنيسة للروم الكاثوليك ولأهلها ولع بزراعة التبغ التركي، وعلى بعد ٥ كم إلى الجنوب الغربي في الحاروف كهوف مقبرية وكتابات آرامية.

في الكم ٣٤ على اليمين وفوق مرتفع النبطية الفوقى وهي أقدم من التحتى. على يسار الطريق يلمح ديراً قديماً..

***قلعة الشقيف*** . حصن بوفور (الحصن الجميل) في الكم ٣٦ من الطريق المذكور آنفاً وقبل قرية كفر نبتيت وقرب مستنقع كبير، يترك على اليسار لحباً يصلح قليلاً للسيارات حتى قبل قرية آرنون بقليل ومن هناك إما أن يركب السائح راحلة أو يسير على قدميه خلال ٤٠ دقيقة ويتسلق أكمة قليلة الانحدار في هذه الجهة، قامت فوقها قلعة الشقيف.

***التاريخ*** . سمى العرب هذه القلعة شقيف آرنون وسماها الصليبيون بوفور أي (الحصن الجميل) وحق لهم أن يسموها كذلك لجمال موقعها، وقد كانت في عهدهم من أجزاء مقاطعة صيدا استخلصها فولك ملك القدس سنة ١١٣٩/٥٣٤ من

الأمير شهاب الدين وعهد به إلى حكام صيدا الصليبيين، فجدد هؤلاء بناءها وسموها من ذلك الحين بوفور.

ويقول المؤرخ كيليوم الصوري إن بعد الكسرة التي حدثت للصليبيين في سنة ١١٧٩/٥٧٥ قرب بانياس التجأ كثير من الفرسان الشفالية والجنود إلى هذه القلعة، وفي سنة ١١٩٢/٥٨٨ حاصرها السلطان صلاح الدين، ولما شهد أن حصارها يحتاج لمدة طويلة والنجاح فيه غير مؤكد حاول أن يأخذها بالخدعة فطلب مقابلة رينو حاكم صيدا، وكان هذا محصوراً في القلعة، وبعث إليه بخاتمة ليتأكد من حسن نيته . ولما وصل رينو إلى خيمة السلطان كبل بالحديد، ثم سيق إلى أمام القلعة وعرض أمام أنظار المحصورين فيها، إلا أن هذا رغم ذلك حرض رجاله على الدفاع فأرسله السلطان صلاح الدين إلى دمشق وأبقاه فيها معتقلاً وبعد حصار سنتين الجأ الجوع المحاصرين إلى التسليم ١١٩٤/٥٩١.

وفي سنة ١٢٤٠/٦٣٨ عقد اسماعيل ملك دمشق عهداً مع الصليبيين أعاد إليهم بموجبها قلعة الشقيف وقلعة صفد، إلا أن هذه الإعادة لم تسلم من الصعوبة، لأن الحامية المسلمة التي كانت في القلعة لم ترضخ لأمر السلطان فدافعت طويلاً حتى النهاية ورممها بعد الاستلام يوليانوس صاحب صيدا ثم باعها إلى الفرسان الهيكليين، وفي سنة ١٢٦٨/٦٦٧ جاء الملك الظاهر بيبرس بعد أن استولى على صفد فحاصر قلعة الشقيف واستولى عليها وأقام فيها حامية من جيشه وبنى برجاً على بابها، وفي القرن ١٧/١١ حينما عصى الأمير فخر الدين المعني على الدولة عني ترميم هذه القلعة وجعلها بحالة صالحة للدفاع ضد هجمات جيوش الدولة التي سيقت عليه بقيادة باشاوات عكا ودمشق. وفي القرن الماضي سكنها أبناء العشائر أو حكام جبل عامل ولم يغادروها إلا في النصف الأخير من ذلك القرن، أما اليوم فقد أمست زريبة يأوي إليها الرعاة بغنمهم وماعزهم.

الوصف. انتقى بناة هذه القلعة مكانها في قمة أكمة صخرية كعرف الديك، فهي محلقة في الجو كالعقاب يحدها من الشرق منحدر سحيق منتصب عمقه أكثر من ٢٠٠ متر، يجري في قعره نهر الليطاني، ومن الغرب منحدر آخر يهبط نحو مستوى السهل الذي فيه قرية أرنون.

وأمام القلعة في الجنوب يرى نجداً صغيراً يظهر أنه صناعي، وقد كانت ضاحية القلعة خلال العصور المتوسطة مبنية في هذا النجد ولا يزال يرى فيه في جهة الغرب أطلال جدار محصن ببريجات بناها في القرن ١٧ الأمير فخر الدين المعني بحجارة بسيطة، وحينما اشترى الفرسان الهيكليون هذه القلعة سنة ١٢٦٠/٦٥٩ بنوا في طرفها الجنوبي طابية (مصنعاً حربياً منعزلاً ليس له زاوية داخلية)، ولكنها لم تلبث سوى ثماني سنوات حتى جاءها الملك الظاهر بيبرس، وهذه الطابية ذات شكل مستطيل، ذرعها ٢٥×٢٠ خطوة، وقد بنيت من أحجار وسط في حجومها ولا يزال باقياً منها بضع غرف معقودة وصهاريج.

وفي مكان هذه الطابية يمتد النظر إلى آفاق جد واسعة ومناظر رائعة بهيجة تملك على الإنسان مشاعره، فهو ينظر إلى القلعة فيراها محلقة في الجو كالعقاب، ويلمح على بعد في الشرق قمم جبل الشيخ المكللة بالثلوج، وفي الجنوب الشرقي قلعة الصيبية المشرفة على بانياس والحولة، وفي الشمال بلاد بشارة الشمالية وسهل البقاع وجبال لبنان، وفي الجنوب بلاد بشارة الجنوبية التابعة لقضائي صور ومعودةيون والممتدة حتى جبال صفد وكل هذه المناظر من أجمل ما في بلاد الشام تحصنت فيها سنين كثيرة جيوش أهل الصليب وأهل الإسلام، ولولا عزيمة صلاح الدين وخلفائه لانمحت كلمة الإسلام والعرب من ذلك التاريخ.

وقد اضطر مهندسو هذه القلعة أن يتبعوا في تخطيطهم عوارض الأرض وتضاريسها التي بنيت القلعة فوقها فشكلها يشبه إلى حد ما مثلثاً متطاولاً وطوله على التقريب ١٥٠ متراً، وعرضه في أعرض مكان ١٠٠ وهي تنقسم إلى قسمين، الأول الأسفل، وهو في الشرق، على حافات المنحدر الهابط نحو الليطاني، والثاني أعلى من الأول ويؤلف العيصة، وقد شيد على قمة العرفة الصخرية بعد أن وطئوا سطحها وعدلوه لتتمكن من حمله.

وقد بنيت هذه القلعة من حجارة ضخمة منحوتة نحتاً محدوداً، كما بني في المنحدرات الصخرية التي تطل عليها أقسام القلعة جدران سفوح ماثلة مبلطة بحجارة منحوتة لايزال بعض أجزائها ماثلاً. ويحدق بالقلعة خندق عميق من الجهة الشرقية والغربية ويوجد في الخندق الواجهة الغربية صهاريج عظيمة معقودة منقورة في الصخر

الصلد ومدخل القلعة عند نقطة A وأمام الباحة المكشوفة الخارجية. وينفذ الداخل منه إلى الباحة السفلى الداخلية. وعلى يسار هذا المدخل يلحظ خزان ماء منقور في الصخر وموضوع في الخندق. وفي الجناح الجنوبي للخندق بضعة كهوف لا يعرف سبب بنائها قد نقرت هي الأخرى في الصخر.

وقد بقي من الباحة السفلى في الشرق ثلاثة أبراج مدورة ( C ) و ( B ) و ( B ) ( ١ تشرف على وادي الليطاني. لكن الثالث منها قد تهدم بالمرة، وفي شمالي هذا البرج الثالث مصنع طويل ( D ) ينتهي عند حد الباحة السفلى المذكورة، فيه ثلاث طبقات من الأبهاء التي لعلها كانت مخازن. لكن الطابق الأعلى خراب بالمرة.

والسور الأعلى يحتوي من الجنوب إلى الشمال أولاً على بقايا برجين مدورين جميلين D و G قد بنيا بأحجار منحوتة نحتاً محدوداً وركبا على جدار سفح مائل من أحجار جميلة منحوتة نحتاً أملس. ومما يلفت النظر هنا الشكل المخروطي الذي بني به سفح البرج والزخرف البارز الجميل الذي يزين هامة هذا السفح. أما البرج فقد صار متهدماً بالمرة. وهذان البرجان يقعان إلى حد ما في خارج السور فهو يشرف عليهما، ويؤلف في هذه الواجهة جداراً عظيماً بعضه متهدم، ويلحظ فيه أحجاره الجميلة المنحوتة نحتاً محدوداً وحجومها الهائلة.

ويرى الأثري راي أن باب القلعة يجب أن يكون عند نقطة D الذي أصبح الآن عبارة عن ثغرة بسيطة، يشرف عليه ويحرسه برج ويوصل إلى هذا الباب بتسلق سطح مائل مد في محاذاة المنحدر الذي يحمل القلعة. وتتصل هذه الثغرة ببهو معقود يفضي منه المهاجم إلى ساحة مكشوفة. كأنها في قعر خندق، فتعرضت من كل الجهات لمقذوفات المدافعين قبل أن يتمكنوا من الوصول إلى المدخل الحقيقي للصيصة الواقعة عند نقطة (H ) ففي هذا المكان يوجد باب ذو قوس منكسر له صفان من الأحجار التي بشكل الزاويا. وقد فتح هذا الباب في الجدار الجنوبي وصار نصفه الآن مطموراً في التراب، وفوقه زافرة مرمى. وكان يتصل بهذا الباب دهليز معقود طويل قد سد الآن، ينفتح عند الأرض المكشوفة وسط القلعة.

والواجهة الغربية للسور تتألف من جدار شاهق العلو وعظيم العرض جداً، ومداميكه السفلى الراكبة على الصخر مؤلفة من أحجار ضخمة للغاية وأكثرها

منحوت نحتاً محدوداً، وكان يشرف على هذا الجدار الصرح ( K) وهو برج مستطيل لم يجعلوه بارزاً فوق جدار السجف.

وجدران هذا الصرح قد تهمدت إلا في جبهته الشرقية التي فتح فيها في جوف المكان باب المدخل، ولهذا الباب عتبة تحمل فوقها قوساً مؤلفاً من ثلاثة أحجار مزوقة منحوتة نحتاً محدوداً ومصفوفة صفاً كالطريدة. والمدرج المبني وسط الجدار لا يزال موجوداً. ثم إن في داخل الصرح بقايا عقد منكسر كان سقفاً للبهو القديم في الطبقة السفلى.

وإزاء المعقل تماماً نحو الشرق يقوم بناء صغير مبني من أحجار متوسطة الحجم ويحجب بهواً مقسماً إلى طاقين معقودين فوق متصالبات ذات أعصاب تؤلف زوايا جوانبها تنتهي على خط المركز وينفذ إلى هذا البناء في الغرب من مدخل صغير أقواسه المدورة كانت ذات قمم حادة وتستند على أرجل قائمة في أعلاها تيجان مزخرفة بالأوراق المنحوتة. وهذا المدخل كان سالماً حين مر به (راي)، أما الآن فقد تشوه وصار نصفه مطموراً في التراب. وقد نسب راي هذا البناء إلى النصف الثاني من القرن ١٣ ، إلا أنه أخطأ بحسبانه كنيسة، في حين أنه في الظن الأقوى البهو الكبير وتحت الباحة المكشوفة التي يطل عليها الصرح والبهو المذكور يوجد سرداب طويل يتجه من الجنوب إلى الشمال، وهو غير الدهليز الذي يقع إلى الغرب ويتصل بالباب H وقد أصبح الآن مسدوداً.

وفي الطرف الشمالي من الصيصة يقوم في نقطة ( M) برج ذو شكل غير منتظم مبني من أحجار جميلة، يحتوي في طبقته السفلى على بهو فيه ثلاث مزاغل ينزل إليه بدرج.

وقد أضافوا وربطوا فيما بعد بهذا البرج بناء عجيب الشكل وذلك لتحصين خط السجف في الشمال، وهذا البناء مؤلف من ثلاث طبقات لكل منها بهو فيه مزاغل، وهنالك درج يوصل الطابق الأعلى بالطابق المتوسط، ولكن لم يعثر على أثر لمدرج يوصل الطابق المتوسط بالطابق الأسفل. وهذان الطابقان الأخيران يتصلان مع المستودعات التي ذكرت سابقاً.

وفي أسفل هذا البناء، في الشمال، صهريج واسع منه قسم منقور في الصخر وقسم مبني بالحجر والجدران التي تحيط به ذات سفوح مائلة.

هذا ويمكن أيضاً الوصول إلى قلعة الشقيف من مجاز يأتي من جسر الخردلة على الليطاني ويتسلق الواجهة الشرقية من الشنخاب الصخري إلا أن الصعود في هذا المجاز صعب وكئود للغاية ويستغرق ساعة ونصف، ولا نوصي به. وعليه يعود الزائر من حيث أتى إلى القرية أرنون.

عودة إلى طريق صيدا - جديدة معودةيون - في الكم ٣٧ كفر تبنيت، قرية يشبه اسمها اسم ملك صيدا تبنيت المذكور في الكتابة الشهيرة المنسوبة للاشمنغرار - إلى اليسار مزار ولي فوق أكمة وحوله قبور - في الكم ٣٨ يهبط الطريق في منعرجات نحو وادي أحد روافد الليطاني.

في الكم ٤٠ يترك على اليسار طريقاً لم يتم بعد يفضي إلى جرمق وفي الكم ٣ وعيشية في الكم ٧ الريحان في الكم ١١ وكفر حونة في الكم ٢٠ وجزين في الكم ٢٩ وكما أن في جرمق فرعاً طوله ٤ كم يصل الطريق المذكور بكفر رمان التي على طريق الحمصية - قيطولى - نبطية.

في الكم ٤٢ يستمر الطريق في الهبوط إلى الوادي الذي يلمح في قعره أشجار الدفلى الوردية الزهور. ويميز في سطح الانصباب المقابل بيوت جديدة معودةيون والقليعات.

في الكم ٤٣ يبلغ الطريق وادي الليطاني وهو هنا عريض فيسير مدة محاذياً ضفته.

في الكم ٤٥ جسر الخردلة (مخفر درك) وهو جسر حديث على نهر الليطاني على اليمين الجسر القديم ذو القنطرتين، وقد استبدل بالحديث منذ بضع سنوات.

في الكم ٤٧ يسير الطريق في سفح المنحدرات التي تطل عليها قلعة الشقيف المذكورة آنفاً - في الكم ٤٩ على اليمين يلمح قرية كبيرة اسمها دير ميماس ويترك على اليمين مجازاً يفضي إليها ثم يستمر حتى كفر كيلة ومنها يبلغ المطلة على الحدود الفلسطينية، ثم ينحرف الطريق نحو اليسار (إلى الشمال) ويصعد إلى سطح الانصباب الشرقي لوادي الليطاني - في الكم ٥٣ يمر من أسفل قرية القليعات - في

الكم ٥٤ يترك على اليمين طريقاً يفضي إلى المطلة المذكورة والطيبة. على اليمين في آخر تلك السهل الخضر النضر يلمح قرية كبيرة اسمها الخيام . في الكم ٥٦ يترك على اليسار طريقاً يفضي إلى منزل الخوداي إلى معسكر جديدة معودةيون في الكم ٥٧ يترك الطريق الكبير المذكور ويأخذ في اليسار طريقاً يفضي في الكم ٥٧,٥ إلى ساحة السراي في جديدة معودةيون .

عودة إلى طريق صيدا - الناقورة - يترك الطريق صيدا متجهاً نحو الجنوب - في الكم ٤٩ يمر من أسفل قلعة القديس لويس (وهي على يمين الطريق) - في الكم ٥٠ جسر على نهرالبرغوث (واسمه القديم ) ويترك على اليسار الطريق الذي يفضي إلى المقابر الفينيقية ) .

في الكم ٥٢ جسر على نهر سنيق وقربه خان فيه حجر ميل روماني. ويلحظ على اليسار في ضفة النهر المذكور قرية دير بسين المارونية قامت في مكان أثري . وعلى بعد قليل منها على اليسار يلمح قرية كبيرة شيعية اسمها الغازية تقع في سفح أكمة على قمتها المعبد الذي يقدسه النصارى ويدعونه سيدة المنظرة (تقدم ذكرها..)

في الكم ٥٧ جسر حجري ذو ثلاث قناطر على نهر الزهراني وفي قربه آثار مطحنة رومانية قديمة وفور عبور الجسر يترك على اليسار الطريق الذاهب إلى النبطية وجديدة معودةيون .

في الكم ٥٩ لحب يفضي في اليمين إلى ساحل البحر حيث تل البراق ويظن أنه المكان التي ذكره استرابون. وهذا التل مدور الشكل، وفيه عين ماء عذبة. سفوحه تحرث وتزرع، وفيها قطع كثيرة من الأواني الخزفية التي تنتسب لعهود جمة. وفي أسفل هذا التل بناء مزرعة أحدقت به أشجار الليمون والبرتقال. وفي شمالي هذا التل يلحظ أطلال أربعة صهاريج أثرية بنيت على نفس الطراز الذي في رأس العين قرب صور فالحواجز مبنية بالحصى والزلط والقطع الخزفية المجموع بعضها على بعض بخلاط قوي. وكان هنالك قناطر توصل الماء من تل البراق إلى صرفند.

في الكم ٦٠ جسر على وادي البراقية وهذا يغلب عليه الجفاف . في الكم ٦١ جسر على نهر العدسية يلمح على اليمين أطلال القناطر التي كانت توصل ماء تل براق صرفند.

في الكم ٦٢ يعبر وادي الأخبية ويترك على اليمين فوق خرشوم داخل في البحر أطلال برج ناظور يسمى برج الخضر أو الاخبية.

في الكم ٦٤ على يمين الطريق عين ماء ثرة تدعى عين القنطرة يجتمع ماؤها في صهريج مبني بالرخام جميلة أثرية ويعزى اسم هذه العين والرأس الداخل في البحر المجاور لها إلى القنطرة التي قلنا إنها توصل الماء إلى صرفند.

في الكم ٦٥ مزار الخضر وهو بين الطريق والبحر، تشرف عليه من يساره قرية صرفند القائمة فوق أكمة.

هذه مكان أو زاويتها القديمة المشهورة في الكتاب المقدس بأن النبي الياس أقام فيها مدة في بيت أرملة فقيرة وأتى بمعجزة إحياء ابنها بعد موته. وفي صرفند هذه كان الصيدانيون يصنعون أوانهم الزجاجية ومن هذا نشأت الكلمة العبرية "زريتا" صرفند والتي معناها إذا به المعادن. مدينة زريتا القديمة ميناء ذو شأن مبنية على طول الشاطىء في طول ١٨٠ كم وتشمل ثلاثة خلجان صغيرة. وفي عهد الصليبيين كانت زريتا بليدة مهمة محاطة بأسوار. وكان يسمى رأسها الداخل في البحر (رأس القنطرة الآن) رأس القديس رافائيل. وكانت المدينة نفسها من مقاطعات مملكة صيدا ومركز أسقفية ومقر رهبان من الطريقة الكرملية. وكان حصنها مشيداً قرب البحر، ولعله كان فوق الجبل الذي يؤلف رأس القنطرة. أما كنيسة النبي الياس فقد كانت وسط البلدة، ولا ريب في أنها كانت مكان الخضر الحالي وفي هذا المكان نفسه نقب المسيو راي سنة ١٨٥٧ فعثر على سماوة من تمثال فينيقي نقله إلى متحف اللوفر في باريز وسمي سماوة صرفند، أما الخرائب التي ذكرها السياح فقد كادت أن تزول، والحفر الذي جرى هنا وهناك كشف عن قطع أعمدة وغيرها. والخلجان الصغيرة مازال يستعلمها صيادو السمك ويلجأون إليها، وقد أدى اختلال الأمن بعد القرن ١٣ إلى انتقال زريتا من ساحل البحر إلى مكان قرية صرفند

الحالية، والمتوجه إلى صيدا ما أن يترك صرفند حتى يطل على صيدا فتبدو في السهل أمامه من جهة الشمال.

في الكم ٦٦ يمر الطريق بالتتابع بثلاثة خانات مسقوفة ثم يدور نحو اليسار ويعبر جسراً فوق جدول. ثم يلمح على اليسار فوق مرتفع قرية الشكشكية وفي قربها كهوف مقبرية ـ في الكم ٦٧ خان وفي الكم ٦٩ يعبر الطريق نهر الخيزراني وعلى اليسار فوق مرتفع قرية الأنصارية ـ في الكم ٧٠ عدلون.

على يسار الطريق وفوق صخرة طويلة تشرف عليه، يوجد مقبرة كبيرة تتألف من مغاور مقبرية عديدة منقورة في ارتفاعات مختلفة أو لكل من هذه المغاور دركاه صغير، إلا أنها لا تحتوي في الغالب إلا على غرفة مقبرية مربعة ذرعها متران في مثله، فيها ثلاث فجوات مقبرية، يعلو كل منها قوس صغير. وفوق باب عدة فجوات منها آثار كتابة يونانية يتعذر قراءتها. ويلحظ أيضاً مغارة كبيرة تدعى مغارة البزيز على بعد قليل من شمالها نصب مصري مشوه جداً، وعلى يمين الطريق أمام البحر بقايا حوض منقور في الصخر وصهاريج. ومعاصر زيت. هذا وإذا فضلنا توحيد الاسم مع تل البراق عوضاً عن توحيده مع عدلون نصل إلى أن التشخيص في عدلون التي ذكرها حاج بوردو. وفي عهد الصليبيين كانت عدلون إحدى مقاطعات ولاية صيدا.

في الكم ٧١ يجتاز الطريق نهر أبو الأسود ـ في الكم ٧٧ على اليسار يلمح صخوراً بيضاء في أسفلها، يوجد مغارتان غريبتا الشكل فيهما خطوط متقاطعة وكتابات يونانية ومثلثات غير مضبوطة الخطوط ورموز عبادة عشتروت.

في الكم ٧٨ على اليمين، بقايا قنطرة ماء خراب ويحاذي الطريق نهر القاسمية وله هنا فرعان، فيعبره في الكم ٧٩ فوق جسر ذي قنطرة واحدة من بناء ابراهيم باشا ونهر القاسمية هنا عميق ومجراه هادىء، وهو القسم الأدنى من نهر الليطاني، يصب هنا في البحر بعد أن يرسم منعرجات عديدة (٦/٤/٩٣٩).

وفي يسار الطريق يلمح خان القاسمية وهو مبني بأحجار أثرية، فباب المدخل خاصة كان مبنياً بأحجار منحوتة نحتاً بديعاً، والعتبة مزدوجة وهي من أجمل أحجار الغرانيت الوردي الملون، وكانت في الأصل عموداً فنحتت وجعلت عتبة، وفي أعلى الخان الطابق الأرضي لبناء قديم كبير يسميه العرب برج الهواء. وإلى الجنوب

منه بعد مسافة يصادف أحواض ماء ومعاصر وقطعاً مربعة من فسيفساء متفرقة وحفراً وقبوراً.. الخ وكلها يدل على أن هذا المكان كان فيه مدينة قديمة تشرف على مصب الليطاني ويجب ألا يوجد اسم هذا المكان مع لئونيوتوليس التي كان موقعها في مصب نهر الدامور ثم بعد مسافة ١٥ دقيقة من هنا ووسط الأرضين يوجد ناووس ذو حجم عظيم وزخرف زائد دقيق وفي قربه نواويس أخرى أحدها لم ينفصل بعد من بين الصخر ويسمي الأهلون هذه الأطلال قبور الملوك.

هذا وبعد أن يجوز نبع ماء جار يدعى عين ابريعان تقع في سفح ابريعان (فيه بقايا نواويس) يصل في الكم ٨٥ إلى أوائل بساتين صور الخصبة، وعلى اليسار ينفصل لحب صالح ينتهي في يومنا عند صريفة. وبعد اجتياز عين ماء عذبة تدعى عين بابوك يلمح على اليمين في الكم ٨٧ تل المعشوق ويأخذ على اليمين لحباً صالحاً يفضي في الكم ٨٨ إلى صور بعد أن يحاذي شاطئها الرملي.

إن الطريق الأصلية لصور التي تسير فوق مخطط سد الاسكندر الذي كان يصل بين جزيرة صور القديمة والبر، كان ينفصل هنا بعد مسافة قليلة إلى اليمين في مكان يدعى البصة (مقهى ومطعم) إلا أن هذا الطريق غير صالح للسير في كل وقت لوفرة ما فيه من الرمال.

صور ويسميها الإفرنج قاعدة قضاء، ومركز محكمة بداية، تقع على ساحل البحر المتوسط في الدرجة ٣٣.١٦ من العرض الشمالي و ٣٥.١١ من الطول الشرقي سكانها ٥٢٤٠ أكثر من نصفهم مسلمون جعفرية والبقية نصارى أكثرهم روم كاثوليك، بنيت بلدة صور الحالية فوق شبه جزيرة كانت فيما مضى منفصلة عن البر بالمرة، أما الآن فهي متصلة به ببرزخ رملي والجزيرة الأولية كانت واطئة وصخرية وموازية في امتدادها للشاطىء، وكان طولها نحو ١٦٠٩ أمتار وكان طرفاها يمتدان بعد بخط من الصخور ويؤلفان خليجين أحدهما في الشمال والثاني في الجنوب والخليج الشمالي هو المرفأ الحالي، كما أن البلدة الحالية مبنية في هذه الجهة في نقطة الجزيرة بالبرزخ والفرق عظيم بين صيدا وصور فبينما صيدا تصيد القلوب صيداً، تنقبض النفس في صور انقباضاً وذلك لانحصارها وضيقها وكآبة دورها وسككها وحوانيتها، فسكان صور الحاليون إنما هم صيادو سمك وتجارو

قوارب وأصحاب بضعة حوانيت. والحركة التجارية ضعيفة، تقتصر على استيراد ما يكفي سكان البلدة والقرى المجاورة لها وعلى أكوام من سماد الغنم والماعز الذي يستعمل في بساتين بيروت، وفي شاطئها بضعة مقاهٍ بسيطة وفندق صغير، وفيها مدارس ابتدائية إحداها حكومية والبقية طائفية، وفيها كنائس للاتين والكاثوليك وللموارنة والأرثوذكس ومعبد للبروتستانت ومسجد كبير للمسلمين.

التاريخ - يعني صور في العبرية الصخرة وفي العربية سور، وتاريخها قديم يتغلغل في ظلمات الأحقاب الغابرة. وقد روى هيرودوتس أن صور بنيت في الوقت الذي بنى فيه هيكل هرقل الجبار، فإذا صح هذا يكون البناء في سنة ٢٧٥٠ قبل الميلاد ويصادف ذلك أمد غارة الكنعانيين - وفي عهد الأسرة ١٨ المصرية رضخت صور وصيدا وبيروت لحكم الفراعنة وأدت لهم الجزية وظلت على ولاء هؤلاء السادة الأجانب منذ عهد تحوتمس الأول إلى عهد رعمسيس الثاني، وفي هذه الفترة التي امتدت من القرن ١٧ إلى القرن ١٤ ق.م كان السبق في مضمار التقدم والازدهار لصيدا. إلا أن صور تمتعت إلى أبعد مدى بأثمار التجارة التي دأبت عليها تحت ظل الحماية التي كان يبسطها المصريون على الفنيقيين.

وقبل حروب طروادة بنحو قرن استولى ملك عسقلان على صيدا فهرب سكانها إلى صور، فأصبحت من ذلك الحين أكبر وأفخم مدينة على الساحل الفنيقي. وقد حكمها باديء ذي بدء قاضيان ثم عهدوا بها إلى ملك اسمه انيبعل وكان ذلك على التقريب في الوقت الذي تولى داود حكم بني إسرائيل، ولما مات بعل خلفه على عرش صور ابنه حيرام وذلك قبل بناء هيكل سليمان سنة ١٠١١ ق.م والصلات التي كانت بين حيرام وداود أشهر من أن تذكر. وقد زادت في عهد سليمان فعقدت بين الفريقين معاهدة توجب على سليمان أن يقدم في كل عام عشرين ألف قمح ومثلها من الزيت لقاء كميات خشب أرز لبنان وعدد من الصناع الماهرين في نحت الأحجار والمعادن وصنع المنسوجات، وتخلى سليمان وقتئذ لحيرام عن مقاطعة في بلاد الجليل تحوي عشرين قرية (سفر الملوك ٩، ٣٥) كما أن حيرام أدى لسليمان خدمات كثيرة خلال تعاقده التجاري مع عوفير وقد جمل كثيراً مدينة الجزيرة وربطها بجزيرة ثانية في الجنوب وباليز. وخلال حكم حيرام الأول الذي امتد زمناً طويلاً تمكنت صور من

استعمار صقلية وشمالي إفريقية وبلاد طارنيش وبذلت أقصى جهودها ونشاطها في توسيع أملاكها المترامية الأطراف.

ولما مات حيرام الأول بعد أن حكم ٣٤ سنة اضطربت صور وحدثت فيها ثورات دامية، ويذكر من الملوك الذين خلفوه ايتو بعل المذكور في التوراة، زوّج ابنته جزابل إلى آشاب ملك إسرائيل، وقد استطاع ايتو بعل خلال حكمه الطويل أن يحفظ السلام بين الأحزاب إلا أنه بعد وفاته استيقظت الفتن والحروب الأهلية واشتدت أكثر من قبل، ومما يذكر أيضاً أن امرأة اسمها ديدون أخفقت في ثورة كان الحزب الأرستقراطي كله خائضاً غمارها، فاستولت على حين غرة على أسطول كان واقفاً حينئذ في المرفأ ونشرت أشرعته وتوجهت به نحو إفريقية وراحت تنشئ فوق أطلال مدينة كامدة مدينة حديثة سمتها قريات حدشات، بدلها بعد الإغريق إلى قرخدون، والرومان إلى قرطاجة.

وقد فعلت هجرة الطبقة الأرستقراطية في صور نفس ما فعلته هجرة الطبقة المذكورة في صيدا لما غادرتها إلى صور، أي أن ذلك كان مبدأ الانحطاط، فقد حدث بعد ذلك أن الآشوريين ظهروا في فينيقية على عهد ايتو بعل الأول فقد اجتاز آصور نازير هابال جبال لبنان وبلغ بجيوشه البحر فقابله الصوريون بنفس المقابلة التي قابل الصيدونيون بها المصريين أي أنهم حسبوا ثم انتهوا إلى أن الاستسلام إليه دون حرب أجدى نفعاً لهم من دفاع غير معروف العاقبة، فاشتروا سلامتهم بذلك ولما مال سلطان الآشوريين نحو الزوال شرعت صور بالتمرد ضدهم وامتنعت عن أداء الجزية التي دفعتها طيلة نصف قرن ونهض وقتئذ مونتون الثاني في صرف الآشوريين، ليسترد استقلاله معتمداً على تحالفه مع رتسين، أخفق وانكسر فكان ذلك مدعاة لحدوث ثورة في جزيرة قبرص، لكن الوالي نجح في إطفاء هذه الثورة إلا أنه لما أراد أن يحارب الآشوريين خذلته جميع مدن فينيقية ووضعت كل سفنها تحت تصرف سلمنازار الخامس فترك الأولى لمدينة صور البرية وتحصن في المدينة البحرية ودافع عنها ببسالة ومازال حتى غلب الأسطول الفينيقي الذي يركبه الآشوريون، وراحت جهود سلمنازار وسرحون بعده أدراج الرياح ففي سنة ٧١٥ فك سرحون الحصار عن صور بعد أن استمر عشر سنوات دون انقطاع، إلا أن ابنه سنحاريب نجح بعد عناء

طويل في الاستيلاء على صور سنة ٧٠٠ وأقام مكان الوالي ايتو بعل الثاني وجعله تابعاً له. وقد قضت هذه الغلبة على سلطنة صور المترامية الأطراف فأصبحت صيدون قاعدة حكومة (الاتحاد الفينيقي). وظهر في المستعمرات من الاضطرابات مثل التي ظهر في مدينة صور نفسها، فقد استمرت في الازدياد إلى عهد ايتو بعل الأول. وقد كان قواد الأساطيل الصورية تجاوزوا بلاد موريتانيا توماس والجزائر ومراكش وكشفوا سواحل بلاد مراكش إلى أقصى حدودها الجنوبية، ثم أسسوا مستعمرات بين مضيق غلاير وبلاد السنغال ثم صعدوا في سواحل أسبانيا واجتازوت بحر بلاد السنغال وبلغوا جزيرة بريطانيا العظمى واستعمروها، وكانت صور في تلك الحقبة العاصمة التجارية للعالم كله، ولكن الفتن التي حدثت عقب وفاة ايتو بعل الأول أوقفت حركة التوسع، وقام وقتئذ بعض الأعداء الأشداء يناوئون الصوريين في أكثر الأماكن التي بلغوها فزادوا الطين بلة. وتقدمت سفن الاتروسكيين[٣] حتى بلغت سواحل إيطاليا وغاليا، بينما سفن الإغريق بعد أن استولت على كل ما كان باقياً من المستعمرات الصيدونية تقدمت إلى السواحل الجنوبية لآسيا الصغرى وجزيرة قبرص فأسست فيها مستعمرات ومازالت تتقدم حتى بلغت صقلية، واستولت خلال بضع سنوات على سواحلها الشرقية والجنوبية (٧٣٤ ـ ٧٣٠) حتى أن قرطاجة لم تتوانى هي عن منازعة وطنها الأصلي، فهي بعد ستين سنة من تأسيسها استولت باسمها الخاص على القسم الجنوبي من جزيرة سردينيا وأدخلت تحت حمايتها الأسواق الفينيقية التي في سواحل صقلية وأسبانيا وأفريقيا.

فقد كانت هذه الأسواق عرضة لغارات قراصنة الإغريق وجماعات البرابرة، ولم تستطع صور المشغولة بمدافعة الآشوريين عن نفسها أن تمدها. وخلفت المملكة القرطاجية المملكة الفينيقية حتى وفي أواخر عهد آشور بانيبال لم يبق في يد فينيقية أي مستعمرة تذعن لسلطتها. ولا ينكر أن فينيقية ظلت تحتفظ خلال عهد طويل بتجارتها وثرواتها وذلك باشتغالها كوسيطة للحركة التجارية في العالم كله. إلا أنها وقفت عند هذا الحد ولم تتخطاه، والملاحون الذين كلفهم الملك نيكاثوا الأول

---

(٣) أحد شعوب ايطاليا القديمة موطنه في مقاطعة طوسقانا في القرن ١٥ ق.م

المصري من الأسرة ٢٦ (٦١١ - ٥٩٥ ق.م) أن يذهبوا ويتحروا على كنوز وثروات الساحل الأفريقي قد كانوا فينيقيين، فقد خرج هؤلاء من البحر الأحمر وداروا حول القارة الأفريقية ورجعوا من أعمدة هرقل، ودامت رحلتهم الهائلة هذه ثلاث سنوات.

وعلى الرغم مما حدث فقد استطاعت صور أن تدافع دفاعاً عجيباً مجيداً ضد غارات أعدائها، فقد صمدت تجاه حصار بختنصر (٥٨٧ - ٥٧٤) ق.م ثلاث عشرة سنة واضطرت الكلدانيين أن يعقدوا معاهدة مع ايتو بعل الثالث الذي قاد حركة الدفاع في سنة ٥٧٤ ق.م ويحتمل أن في هذه السنة حدثت المهاجرة من يالائويتروس وانتقل سكانها إلى جزيرة بعد أن خربوا الطريق التي عبرها حيرام وأسسوا صور الحديثة التي نهضت بين المياه بفخامة منقطعة النظير، ويؤكدون أن أسوارها كانت وقتئذ تعلو خمسين متراً.

وظلت صور زمناً آخر ملكة البحار وقد وصف عظمتها النبي حزقيال وصفاً بديعاً في (سفر خرمياس ٢٧) وفي عهد انحطاط المملكة الفارسية جاهر فاحوراس صور واستولى عليها.

وأكبر ما وقع لصور بعد حادث حصار بختنصر هو دفاعها ضد حصار الإسكندر الكبير مدة سبعة أشهر، وقد استعمل هذا الفاتح وقتئذ أنقاض مدينة بالائويتروس ومدّ بها سكة هائلة بين البر والجزيرة التي كانت عليها صور، ووصلها بهذا إلى تحت أسوار مدينة صور وشرع يفتح فيها ثغرات، ولما استولى عليها دك نحو نصفها وذبح كل سكانها وأسرهم وجعلهم عبيداً أرقاء، إلا أن صور عادت ونهضت من عثرتها، وبعد سنة ٣١٣ ق.م بقليل سقطت في يد انتيفونس بعد حصار دام أربعة عشر شهراً، وفي السنة ٦٤ ق.م. انتقلت صور وكل بلاد الشام أيضاً من يد البطالسة إلى يد الرومانيين وقد شاد هيرودتس الكبير في صور هياكل وميادين عامة، ولما أن دخلت صور في النصرانية صارت مركزاً لرئاسة أساقفة تحت أمرتها أربع عشرة أسقفية. وفي القرن الرابع للميلاد استعادت صور قسماً من ازدهارها القديم وكان فيها كاتدرائية، وسقطت صور فيما بعد في سنة ١٨هـ /٦٣٩م بيد المسلمين، وفي سنة ٥١٨هـ/١١٢٤ وصل أسطول البنادقة إلى ساحل صور وعزم على مهاجمة صور

التي كان لجأ إليها كل سكان المدن التي سقطت بيد الصليبيين ظناً بأنها لا ترام، ولكن بعد دفاع هائل استمر خمسة أشهر ونصف سقطت صور بيد الصليبيين المهاجمين.

وقد استفادت مملكة أورشليم الصليبية فائدة كبرى من الاستيلاء على صور والضواحي الخصبة المجاورة لها. فقد حصنها الصليبيون تحصيناً قوياً ورمموا أسوارها وقطعوا برزخها بخندق كبير، وصارت صور من ذلك العهد إحدى قواعد الإفرنج الكبرى، وفي سنة ١١٩٧/٥٢١ شرعوا ببناء الكاتدرائية التي خلفت بازيليكا القرن الرابع، كما بنوا فيها أيضاً أربع عشرة كنيسة، وفي سنة ١١٧٣/٥٦٩ انتخب فيها كيوم الصوري رئيس أساقفة، وهو مؤلف السفر الخالد المسمى (تاريخ مملكة أورشليم).

وبعد النصر الذي أحرزه السلطان صلاح الدين في حطين سنة ١١٨٧/٥٨٣ حاصر هذا السلطان صور مرتين ولم يفز بطائل، وفي سنة ١٨٨ اغتال الاسماعيلية كونراد صاحب صور، وفي سنة ١٢٩١/٦٩٠ بعد أن كاد الصليبيون أن يخلوا صور فخربها المسلمون واستعملت من ذلك الحين أحجارها وأنقاضها ونقلت، وقد ذكرها وقتئذ أبو الفداء ملك حماة في كتابه تقويم البلدان قال "هي الآن خراب خالية".

وفي مطلع القرن ١٧ حاول الأمير فخر الدين المعني أن يعيد عمرانها فلم يوفق، لأن بيروت بارتها ولم تفسح لها المجال، وفي سنة ١٧٦٦/١١٨٠ سقطت بيد شيعة جبل عامل ثم نقل أحمد باشا الجزار أحجارها إلى عكا. وجاءت الرمال السافية تغطي ما تبقى فيها تدريجياً كما غطت مرفأها الذي قضي على حركته التجارية نهائياً.

ليس في بلدة صور الحالية ما يستحق أن يذكر سوى تاريخها الذي قدمناه، فليس فيها ما يلفت نظر الزائر إلا مرفؤها الصغير، أما المدينة الأثرية فهذه بعضها قد غمرته مياه البحر وبعضها طمرته الرمال والأنقاض القليلة التي خلصت من هذه وتلك قد نهبتها أيدي الناس دونما شفقة، فالمرفأ الحالي الذي في الشمال وقد كان يسمى مرفأ الصيدونيين لأنه يتجه نحو صيدا، عبارة عن خليج صغير مسدود في الشمال والشرق بجدارين بنيا بأحجار أثرية، ومدخل هذا المرفأ في الشمال الغربي، وقد كان يحرسه برجان مربعان ضخمان، عند قاعدتيهما، وكانت جدرانهما

مصفحة برخام ضخمة ومنحوتة نحتاً محدوداً ولكن لم يبق منهما سوى بضعة أنقاض مهمة، ولما كان هذا المرفأ قليل العمق لا يستطيع أن يلجأ إليه إلا المراكب الشراعية الصغيرة التي لا تدل على عظمته ولا تشعر إلا بفقر ومسكنة، وثمة عدد من البيوت عند شاطئ المرفأ قد شيدت فوق الحوض القديم المردوم الذي كان لهذا المرفأ، والحاجز الذي يحد المرفأ من الشمال والشرق كان فيما مضى مسبوقاً بحاجز آخر صار الآن تحت مستوى ماء البحر، وكان يؤلف شبه مدخل للمرفأ أو شبه خليج صناعي. وثمة بين الحاجزين أعمدة عديدة ملقاة وممددة تحت الأمواج، وثمة أيضاً الجزر الصغيرة الواقعة في شمالي هذا المرفأ، كان اسم أكبرها فيما مضى (قبر رودوب) ويظهر أنها كانت مرتبطة بعضها ببعض بحاجز أصبح اليوم تحت الماء أيضاً.

وفي جنوبي شبه الجزيرة كان يوجد المرفأ الذي ذكره القدماء باسم المرفأ المصري.

يظهر أنه كان هذا المرفأ محمياً بحاجز طوله لا يقل عن ٥٠٠ متر، يمتد من الغرب الجنوبي نحو الشرق الشمالي وكان مشيداً برضام غاية في الضخامة وبالباطون، وقد أصبح بعض هذا السد الآن تحت البحر، وكان يحدق بحوض ذي سعة غير يسيرة شكله في جهة الشرق يشبه مثلثاً ضيقاً، وكان في وسط هذا الحاجز فتحة تفضي إلى خليج صناعي جميل جداً، وكان هذا الخليج محمياً بحاجز آخر عظيم جداً أصبح الآن كله تحت الماء على عمق كثير من الأمتار.

والسور الذي بناه الصليبيون كان يحدق بالمرفأ الشمالي ويمتد في محاذاة الساحل الغربي، ثم كان يفصل شبه الجزيرة في الشرق والجنوب عن البر في أضيق نقطة من البرزخ.

كان يتألف هذا السور في الجهة الشرقية من ثلاثة جدران محمية بأبراج سامية الارتفاع وقريبة بعضها من بعض جداً ووراء هذه الجدران الثلاثة كان يوجد خندق عريض، بالإمكان أن يملأ بماء البحر عند الحاجة من طرفيه. وهذه الجدران أصبحت الآن مطمورة تحت كثبان الرمال التي تعلو يوماً بعد يوم وهذه الكثبان نفسها والأودية الصغيرة التي تفصل ما بينها تدل اتجاهاتها على اتجاهات جدران

السور المذكورة . أما الخندق فيجب التحري في المنخفض الذي يقع ما بعد خط تلك الكثبان.

وفي الجهة الغربية كان السور مؤلفاً فقط من جدارين محميين بالأبراج. والغربي من هذين الجدارين هو الآن تحت الماء، وكان حوله مساحة واسعة من الصخور الكاسرة للأمواج والموسعة لامتداد البلدة، وقد مهد سكان صور وقتئذ سطح هذه الصخور واتخذوها قاعدة لبناء كثير من الدور التي أصبحت الآن مندثرة، ولم يبق ثمة سوى السطح الممهد المذكور. والجدار الثاني كان يتبع الشاطئ الحالي ولكن لم يبق منه إلا ما ندر من الرسوم الغامضة، وثمة في الشاطئ المذكور مجموعة من الحجرات الصغيرة التي جدرانها مطلية بملاط من كلس ورخام شديد الصلابة، ويظن أنها مقابر قديمة أو أماكن لتحضير الأرجوان، أو ممالح ولا يزال يرى على طول الشاطئ الجنوبي بقايا أبراج، أحدها يدعى (الجزائري) يقع وسط بستان.

أما البازيليكا، وقد كانت كاتدرائية فخمة للغاية، فلم يبق منها إلا قسم من جدار قد انسلخ عنه ملاطه، يقع في أرض فضاء في الحد الجنوبي للبلدة الحالية. ولا يزال باقياً منها أيضاً عامود جميل من حجر السينيت الوردي اللون المصري الأصل، يتألف من ثلاثة أبدان مرتبطة، قد أعجب به السواح الذين شاهدوه، ومنهم فولناي، وثمة اثنان من تلك الأبدان ملقاة على الأرض. وفي الواقع أن مهندسي إبراهيم باشا لم يستطيعوا رفع هذه الكتل ولا تقطيعها، وهي دون ريب من بقايا هياكل صور القديمة.

كانت هذه الكاتدرائية مكرسة باسم القديس مار، جدد بناءها البندقيون حول سنة ١١٢٧ ولم تنته إلا في غرة القرن الثاني عشر، أما لبناؤها الأول فيعود إلى أسقف صور يولينوس فقد شيدها هذا بأمر ديوكلينانوس مكان بازيليكا قديمة خربت سنة ٣٠٣، وقد كانت عهدئذ أجمل وأعظم كنيسة في فينيقية. وكانت في عهد الصليبيين بعد تجديدها ذات طول قدره ٧٠م ويمتد من الشرق إلى الغرب وعرض ٢٢م. وعلو ٣٥م تحت الصليب. وكان لها ثلاثة صحون، وثلاث حنايا متصلة ومحمية الجوانب بأبراج يصعد إليها بأدراج لولبية، وفي روايات الأهلين هنا أن ضريح الإمبراطور فريدريك باروس وضريح كنرادوي منتفرات الذي قتل في هذه

الكنيسة سنة ١١٩٢/٥٨٨ كانا في هذه الكنيسة، لكن الدكتور سب الألماني جاء سنة ١٨٧٤/١٢٩١ وبحث كثيراً فلم يعثر على ما يؤيد ذلك.

*الضواحي* - ١ - طريق جويا (تل المعشوق، الأواطين، برج الشمال، تبنين، في طريق صالح حتى ١٤ كم، جويا) يأتي إلى الكيلومتر ١ في طريق بيروت - ناقورة، ويجتاز آخذاً إزاءه طريقاً يتجه نحو الشرق.

في الكم ٠,٥ يلمح على اليسار جبلاً صخرياً في قمته ضريحا وليين هذا هو (تل المعشوق) إن ضريحي الوليين أدخلا ضمن حوش مزرعة يعود إلى اجفتلك رأس العين العائد لجمهورية لبنان، وهما يحتويان على ضريحي عباس بن محمد الأسعد وأحمد بن سيف الدين عرنوس الملقب بالنبي معشوق. وكلمة معشوق هذه تدل دلالة قوية على أن هذا المعبد الإسلامي قد خلف هيكلاً قديماً ربما كان هيكل هركول استروشيتون الذي ذكره الشاعر نونوس، وهذا الهيكل نفسه قد خلف الهيكل العالمي الخاص بملكار عاشق عشتروت، ولما جاء الاسكندر الكبير حاول رسل صور الذين قابلوه أن يحولوا عزمه عن دخول جزيرتهم فزعموا أن هذا الهيكل أقدم من الذي في جزيرتهم.

والتل الذي يشرف على السهول إلى أبعاد شاسعة ربما كان في الأصل نوعاً من أكروبول ديني ونقطة مركزية أو عقدة اتصال البلدتين البرية والبحرية صور الحديثة وويالا ايتر على هذا التل في سنة ١١٢٤ التي حاصر الصليبيون خلالها مدينة صور، وقد أقام الملك بودوين الثاني معسكراً محصناً، وقد نقبت السيدة لي لاسور هذا التل فعثرت فيه على الأدراج القديمة لسلم يبلغ علوه ٨م، يظن أنه عائد للهيكل القديم. وقد اكتظت القبور حول تل المعشوق لاسيما في منحدراته الشمالية والشرقية وتقدر مواقع هذه القبور تقديراً لكن مداخلها في يومنا هذا أصبحت مسدودة لا ترام. وفي الشمال يلحظ وجود غطاء جميل لناووس على شكل سرج مع آذان في الزوايا وفي سفح التل من جهة الجنوب حوض كبير من الغرانيت الوردي في قربه يوجد حجر ضخم مدور من الغرانيت المذكور أيضاً ولعله من أحجار الطواحين وعلى مسافة أبعد في الشمال الشرقي من التل ووسط البساتين، يمكن أن تزار مغارة تعرف بمغارة السوق يدخل إليها من سفح خفيف الانحدار، وبابها عريض ومرتفع

وقد قسم داخلها إلى ثلاثة صحون، وكل الأشكال مستطيلة، أما الكتابات والنقوش فلا أثر لها.

وكان تل المعشوق إلى هذا نقطة تجتمع فيها مياه ينابيع رأس العين المجلوبة بقناة ثم تتجه نحو الشمال وسط البساتين بقناة لا يزال لها آثار عديدة، أما في الجهة الغربية فقد كانت تتجه هذه المياه نحو البلدة البحرية بقنطرة.

ولا تزال قناة رأس العين الآتية إلى تل المعشوق تحمل المياه إلى يومنا هذا فهي تتجه بصورة محسوسة من الجنوب إلى الشمال، إلى بعد قليل نحو الشرق من طريق الناقورة الحالي، ثم هي تنحرف فجأة نحو الغرب لتلحق بتل المعشوق، ثم هي تارة تسيرة تحت الأرض وتارة على وجه الأرض وتارة أعلى من مستوى الأرض حينما تحمل على سلسلة أقواس مرتفعة قليلاً أو كثيراً حسب تموجات الأرض التي تجتازها وقد كانت هذه القناة مداراً للبحث منذ أن شرع سلمنازار بحصار صور، فقد أحاطها بجنوده يمنع الصوريين أن يتناولوا منها الماء، والقسم الذي يتغلغل تحت الأرض ربما كان من صنع الفينيقيين، أما الأقسام التي على هيئة قناطر فهي على الغالب رومانية، أصابها ترميم متوالٍ خلال الأحقاب التي توالت.

والقناطر الآخذة بالماء من قبل المعشوق إلى صور، والتي كانت ذات صفوف من الأقواس المعقودة الجميلة للغاية، أصبحت الآن خراباً بالمرة. وقد كانت تسير فوق الطريق المعبدة التي صنعها الاسكندر ولذا يرجع عهد إنشائها إلى ما بعد هذا الفاتح إلا أنه قبل مجيء الإسكندر ربما كان الماء يساق إلى داخل صور البحرية بقناة تسير تحت الأرض أو أنه كانت هذه القناة تفرغ ماءها في خزان عظيم على مقربة من المضيق الفاصل للجزيرة عن البر، وإذا عاد الزائر بالسيارة واستمر في تقدمه نحو الشرق يبلغ في الكم ١,٣٠ حضيض أكمات صغيرة كلسية شديدة البياض يميز فيها فتحات مربعة كثيرة غطتها الأنجم والأعشاب. إن هذه الفتحات عبارة عن مقبرة فينيقية تسمى الأواتين نقبها رينان، وليست الفتحات إلا آباراً يهبط منها إلى الكهوف وهذه الكهوف قد نهبت لسوء الحظ بالمرة، إلا أن بعضها واسع للغاية ويحتوي على عدة طبقات من وهي إما مستطيلة الشكل أو ذات عقود مقنطرة. ويصعد الطريق ويبلغ في الكم ٢ إلى برج الشمال، وهي قرية صغيرة شيعية يلحظ

فيها حصن صغير مثقوب بمرمى ومشيد بأحجار جميلة منحوتة نحتاً محدوداً مستعارة من مبانٍ أخرى وهذا الحصن متخذ الآن كمستودع للحبوب، وهو ربما كان من بقايا التحصينات التي شادها الصليبيون للدفاع عن صور.

وعلى بعد عشر دقائق في جنوبي هذه القرية يبلغ الزائر بعد اجتياز مسيل مكاناً يدعى جل العمد فيه كهوف مقبرية ذات شأن، اكتشفتها العالمة السيدة ديلاسور. ويوصل إليها من سلم ذي عشرة أدراج فينفذ لداخل بهو يتصل بست حجيرات جانبية (في كل جانب ثلاث منها) ومثلها في صدر القسيمتين وقد طلي داخل هذه الكهوف بملاط أبيض نقشت عليه صور زخرفية جميلة مختلفة الأشكال ويلحظ فيها خاصة في القسم الأعلى من الحواجز إفريز كبير يحتوي على أكوام من الأثمار والأزهار والأوراق، كما يلحظ أيضاً سقف في أربعة زواياه قد برزت فيها الرياح الأربعة المشخصة على هيئة سموات وهي تنفتح بملء أشداقها.

وحول هذه الكهوف يلمح آثار مداخل أخرى لقبور لم يستخرج ما فيها بعد وإلى الجنوب أيضاً في مسافة أكمة تقابل تلك الكهوف وتشرف على قرية برج الشمال يوجد فيها قبور أخرى وأطلال أثرية مختلفة.

في الكم ٦ البازورية، قرية وجد فيها نواويس من الرصاص بيزنطية الرصاص. ثم يتبع الطريق وادي المزرعة . في الكم ١٠ قرية جلون . ثم ينحرف الطريق نحو الجنوب.

في الكم ١٤ جويا . فيها قبور وصهاريج أثرية، وهي قرية تقع الآن في منتهى الطريق، إلا أن هذا الطريق سيمدد بعد إلى تبنين، فيها حصن يمكن بلوغه من الشرق بعد دورة طويلة أما الآن فيذهب قاصدو تبنين من جويا على الرواحل خلال ساعتين مارين بمجدل ودير عنتر واليهودية وهذه الدرب جميلة تستوقف الطرف جداً. وهي في كل امتدادها تشرف على جميع هذه الربوع.

٢ . طريق قانا (قبر حيرام، حصن تبنين . طريق صالحة للسيارات حتى الكم ١٠ ومن ثم نحو ٢،٤٥ على الرواحل).

يسلك أولاً طريق بيروت . ناقورة متجهاً نحو الجنوب إلى الكم ٣ من مفرق طريق صور وهناك يسلك طريقاً على اليسار يتجه نحو الشرق . في الكم ٢ على اليمين

منظر جميل نحو الرأس الأبيض الذي تطل عليه قلعة الشمع ثم يهبط الطريق نحو وادٍ صغير . في الكم ٣ جسر فوق جدول فيه أشجار الدفلى ذات الزهور الوردية، ويلمح على يسار الجسر الوادي الأبيض لذلك الجدول المغروس بالزيتون ثم يعود الطريق إلى الصعود.

في الكم ٥ يلمح على اليسار قرية عين البعل: فيها آبار مغطاة ببلاطات ضخمة وفي مسجدها أعمدة أثرية لعلها مأخوذة من معبد قديم كان مكرساً للإله بعل الذي احتفظت هذه القرية باسمه. على اليمين قرية بيت حولة وفيها أطلال أثرية. في الكم ٦ على اليمين الطريق القبر المنسوب إلى حيرام (قبر حيرام).

وهذا القبر عبارة عن ناووس كبير من حجر واحد طوله نحو ٤م وعرضه ٣م وعلوه ٢م، وله غطاء هرمي ثخنه نحو متران. والقبر والغطاء محمولان على قاعدة منفردة علوها أكثر من ٣م مؤلفة من ثلاث طبقات من الأحجار الضخمة، وقد كان رينان نقب حول هذا القبر فعثر في الجهة الشمالية على سلم ملتو منقور في الصخر يلتصق بأسس القبر نفسه، ويفضي إلى كهف مقبري معقود على غير اتساق ومرتفع جداً ووضع الأسس يدل على أن هذا السلم كان موجوداً من قبل أن يشاد القبر. وكيفما كان الأمر يشبه هذا البناء بمغازل عمريت في طريق اللاذقية.

والرواية التي تنسب هذا القبر إلى حيرام لا تستند على تحقيق تاريخي ولا ترجع إلى عهود بعيدة بيد أن البناء عريق في القدم ويحتمل جداً أن يكون فينيقياً.

على يمين الطريق، وقبل القبر المنسوب إلى حيرام بقليل، وجدوا في سنة ١٩٢٣ أطلال معبد ذي أعمدة وقبراً من العهد الفينيقي حجراته منفصلة ببلاطات من الحجر الكلسي الأبيض. وكل من هذه البلاطات يحمل في واجهته الداخلية صورة بعضها ظاهر، وخاصة صورة رمز السلام الذي فيه غصن من الزيتون يحمل نسراً باسطاً جناحيه، وحيتين متقابلتين ورمز تانيت إلهة قرطجنة التي شوهدت في بلاد الشام للمرة الأولى، ومن ثم يتراءى للفكر أن قرطجنة استعارت هذا الرمز من صور نفسها. وقد كشف التنقيب عن مغارة مقبرية خرج منها ناووس جميل من الرصاص (موجود الآن في متحف اللوفر) وإلى مسافة بعيدة قليلاً اكتشف رينان كنيسة

بيزنطية صغيرة تاريخها سنة ٧٠١ ميلادية كانت مبلطة بفسيفساء بديعة سالمة سلامة غريبة، فنقلتها إلى فرنسا (حين كان الترك وقتئذ)؟.

وعلى يسار الطريق وعلى علو قبر حيرام كشف التنقيب أيضاً جداراً جميلاً مثقوباً بباب، لعله كان أحد الواجهات الداخلية لخزان عميق مبني وكان الباب المذكور يصل هذا الخزان مع صهريج آخر وكشف التنقيب أيضاً عن مغاور مقبرية ونواويس الخ.

في الكم ٧ على اليمين، فوق أكمة، حنونة، قرية فيها كثير من الأحجار الأثرية المنحوتة التي ربما كانت تعود إلى كنيسة قديمة مكرسة باسم يوحنا المعمدان، لأن في هذه القرية ولياً مسلماً يدعونه يحي بن زكريا.

(على اليسار وتجاه هذه القرية يوجد جبل يرى في قمته أطلال قلعة فينيقية درسها رينان (بينها بقايا جدران ومقابر فيها حفر لم تنته بعد) وفي قاعدة القلعة وادٍ كثير الالتواء يدعى وادي العقرب قد انحصر حصراً عميقاً بين مداميك قرية من الصخر الكلسي الطباشيري. فإذا تتبع الزائر الجانب الأيسر من هذا الوادي متجهاً نحو الغرب يصل إلى منحدرات صخرية يظهر فيها تماثيل كثيرة محدودبة علوها ٨٠ ـ ١٠٠ سنتمتر وقد جعلت الرؤوس في الغالب بحيث تظهر من الجانب، أما العيون فتظهر من الأمام كما هو الحال في تماثيل العصور القديمة، ولباس هذه التماثيل عبارة عن قمصان بسيطة جداً متشابكة في الجانب الأيسر وعلى بعد بضعة أمتار من هذه التماثيل وفي أسفل صخرة منتصبة ومنحوتة نحتاً عمودياً اكتشفوا محنطة بشرية تعود إلى أقدم عهود ما قبل التاريخ (صوان منحوت، أجزاء من العظام والأسنان).

في الكم ٨ على ضفة الطريق ويمينه يلحظ أطلالاً غامضة، وسوراً يحدق بأرض مرتفعة عما حولها ربما كانت مكان هيكل وعلى بعد قليل نحو الجنوب أطلال حنية تدل دون ريب على مكان كنيسة ـ في الكم ٩ يهبط الطريق ثم يعود إلى الصعود، يلمح على اليسار قرية الخريبة وعلى اليمين قرية الرميدية.

في الكم ١٠ قانا، قرية كبيرة، سكانها ١٥٠٠ أكثرهم شيعة، وفيها مسجد وكنيسة للروم الكاثوليك وهي قد تكون قانا يشوع (١٩، ٢٩) إحدى المدن

الشمالية الخاصة بسبط اسبسار والقرية تنقسم إلى حارتين، إحداهما للشيعة والثانية للكاثوليك وهنا خاتمة طريق السيارات، ويكون من الصواب أن يبعث الزائر من صور برواحله لكي يركبها فيبلغ بعد ٢ ساعة و ٤٥ دقيقة إلى قلعة تبنين من مجاز دواب.

إن هذا المجاز بعد أن يجتاز عيناً في أسفل القرية يهبط وادي عاشور (١٥ دقيقة) وفي الدقيقة ٣٠ يترك على اليسار وادياً جانبياً أما وادي عاشور فينحرف نحو اليمين ويمر من تحت قرية اسمها المزرعة.

(على علو نحو ٤٠ متراً عن بطن الوادي يلمح مدخل سللا منقورة في الصخر. وهي عبارة عن فجوة هامة يحيط بها إطار مربع الأضلاع مؤلف من إطارات تتراجع بعضها عن بعض بخفة، وفي قعر الفجوة صور من النحت البارز والطراز المصري وهي بحالة سيئة، ويظن أنها تمثال حفلة تقديم نذور ومن فوقها كرة مجنحة مع نسرين كبيرين، وإذا أدار ظهره إلى الصور المذكورة يجد إزاءها تمثالاً جانبياً لرجل قاعد وعلى رأسه قلنسوة وأمام هذا الإله شبحا شخصين يتعبدانه وهما متجهان إليه وفوق هذه السللا مغارة ليس فيها شي.

يستمر الطريق في سلوك وادي عاشور في ساعة ونصف يترك على اليمين وادياً جانبياً يتجه نحو الجنوب. في الساعة ٤٥.١ دق يترك على اليمين طريقاً يفضي إلى قرية بنت جبيل.

في الساعة ٢ والدقيقة ١٥ يترك وادي عاشور ويصعد إلى ثنية يظهر فيها فجأة منظر جميل نحو حصن تبنين، ويلمح على أبعاد شاسعة قلعة الشقيف.

في الساعة ٢.٣٠ دقيقة يلمح على اليسار قرى عياطة انطوط واطاطا، وعلى اليسار قرية يهودية في الساعة ٢.٤٥ دقيقة (تبنين) قرية كبيرة، سكانها ١٣٠٠ أكثرهم شيعة، بينهم عدد ضئيل من الكاثوليك، علوها ٨٧٠م، مركز ناحية، وتشرف على هذه القرية من جهة الشرق قلعة تبنين التي بناها هوكوتس دوسنت أومر صاحب طبريا، حوالي سنة ١١٠٤/٤٩٨ وسماها طورون واتخذها معقلاً لغز وصور وما يليها، وهي كلمة إفرنسية قديمة بمعنى مرتفع أو أكمة منفردة، بعد أن

مات هوكوس دوسنت أومر دون عقب أعطيت تورون إلى أسرة تلقبت بتورون وقامت بأعمال مماثلة لما كان للأسر النبيلة القادمة من وراء البحر.

(حاصر صلاح الدين هذا الحصن سنة ١١٨٧/٥٨٣ وفتحه، وحاول الإفرنج سنة ١١٩٧/٥٩٤ وفي عهد الملك العادل أن يستردوه فأخفقوا وفي سنة ١٢١٩/٦١٦ دكه الملك المعظم ثم أعيد ترميمه في سنة ١٢٢٠/٦١٧ فصار سبباً للتداعي بين الفرسان التورونيين وورثة فيليب دومو منقور الذي اكتسب حقاً على هذا الحصن بحكم زواجه. وعهد الامبراطور فريدريك الثاني هذا الحصن إلى اليونور دومومنقور وعوض فرسان التورونيين بريع سنوي قدره ٧٠٠٠ بازان يجبونه من مكوس مرفأ عكا وفي سنة ١٢٦٦/٦٦٥ استولى الملك الظاهر على تبنين بعد أن كان استولى على صفد وأعيد ترميم هذا الحصن في القرن ١٧ من قبل ظاهر العمر حينما أظهر هذا العصيان ضد الدولة الثمانية.

إن بناء هذا الحصن عربي وغير متقن، يقوم على قمة أكمة مدورة جعلت الحصن أيضاً ذا شكل مدور وتقع الأكمة وسط بقعة خصبة شجراء. وقد حصنت بأبراج بعضها مربع وبعضها نصف مدور، ويصعد إلى الحصن من سلم طويل ولم يبق فيه الآن من عهد الصليبيين سوى الأسيس السفلي وبعض المداميك ذات الأحجار الضخمة المنحوتة نحتاً محدوداً لا تزال في مكانها في الجهة الغربية أمام السور الحالي، أو أنها أعيد استعمالها في داخل الحصن.

وفي أسفل الحصن بينه وبين القرية خزان عظيم ملآن بالماء، وفوق القرية في الجهة الغربية قلعة قام عليها حصن عربي صغير حصنت أطرافه بأربعة أبراج مدورة، وهو مبني في عهد بناء حصن تبنين الحالي.

من تبنين إلى بنت جبيل إلى الجنوب الشرقي ١.٥ ساعة ونصف على الرواحل - في يومنا هذا يهبط طريق الرواحل إلى الوادي في الجنوب ثم يصعد حتى قرية عياطة الريط ثم يجتاز بعد نحو ساعة هضبة حسنة الحرث والزرع مجردة عن الشجر ومن ثم يبلغ قرية بيت ياهون، وهذه مشيدة بأحجار أثرية (أعمدة وصيدة الحجر، أجران مقبرية.. الخ).

ومن ثم يهبط الطريق في واد قليل العمق متقن الزرع قامت فيه قرية قونين، وفي هذه أيضاً أطلال أثرية نخص بالذكر حوضاً كبيراً وعدة آبار، ثم يجتاز رابية صغيرة مغشاة بكروم العنب حتى قمتها، ثم يترك على اليمين عينيتا وهي قرية سنية وشيعية وهي بيت عنات المذكورة في التوراة، كانت تعود إلى سبط نفتالي، وفيها حوض نصف أثري وآبار ثم يترك على اليمين خربة تعرف باسم خربة شلابون تقوم فوق تل صخري، يلحظ ما بينها ناووسان، على واجهتها الطويلة جني مجنح قد نقش في وسط واجهتها الطويلة يحمل على يمينه ويساره إكليلاً جميلاً وضع في داخل انحنائه على الطرف قرص وعلى الطرف الآخر صليب ذو أضلاع متساوية يحيط به إطار مثمن الزوايا وهكذا فقد جمعت في هذه النقوش رموز الوثنية والنصرانية معاً.

في الساعة ١.٣٠ يعود للهبوط نحو بنت جبيل، قرية كبيرة، سكانها ٣٠٠٠ شيعة وفيها دار بريد ومخفر درك وسوق عام يقام في كل خميس يكتظ بالقادمين. ويلحظ في هذه القرية حوضان كبيران على أطرافهما كثير من الرخام الجميلة المجلوبة فيما يظن من بناء مهدوم. ويوجد في هذه القرية أيضاً بقايا كتابات يونانية تدل على اسم بناء ديني.

ومن بنت جبيل يمكن الوصول خلال نحو ساعة في طريق رواحل يتجه نحو الجنوب إلى يارون وهي يرثون يشوع إحدى مدن سبط نعتالي وهي قرية أهلها روم كاثوليك وشيعة، يلحظ فيها فوق تل منفرد أطلال مسجد للشيعة كان في الأصل هيكلاً ثم جعل في عهد البيزنطيين كنيسة وقد كان طولها ٣٥ قدماً وعرضها ٢٢، وكان لها ثلاثة مداخل متجهة نحو الغرب تناوح ثلاثة صحون تنتهي بثلاث حنايا بارزة إلى الخارج.

فالحنية الوسطى كانت منفصلة عن جارتيها باثني عشر عموداً وحيدة الحجارة عليها تيجان كورنثية، في كل جهة ستة أعمدة. وبقايا هذه الكنيسة قد تبعثرت فوق منحدر التل وفي داخل القرية.

من تبنين إلى الطيبة في الشمال الشرقي سيمتد طريق صالح للسيارات يفضي إلى الطيبة ماراً بـ القنطرة، والطيبة مرتبطة من قبل بطريق صالح للسيارات إلى جديدة مرجعيون.

من تبنين إلى قرية شقيف أرنون ـ نحو الشمال الشرقي في طريق رواحل يجتاز من الشمال الوادي الذي يلف حول حصن تبنين، ثم يتسلق في الشمال الشرقي ميول جبل صفد البطيخ تاركاً هذا الجبل على يمينه. وينفذ بعد نصف ساعة إلى وادي الحجير الذي يهبط خلال أربع ساعات ليبلغ نهر القاسمية عند جسر القاقلية ومن هنالك يدور الطريق نحو اليمين ويصعد في وادي عين عبد العال، تاركاً على يمينه مضيق الليطاني فيبلغ بعد نصف ساعة زعوتر وبعد (١ ساعة و ٨٠ دقيقة) قرية الحمرا وبعد نصف ساعة أرنون في سفح قلعة الشقيف من تبنين إلى هونين في الشرق يهبط إلى بطن الوادي الذي يلف حول تبنين في شرقها ويمر من قرب بئرين قديمين يسميان عيون الخان لأنهما على مقربة من أطلال خان إسلامي.

وبعد اجتياز عدة أكمات يفصلها بعضها عن بعض أودية قليلة العمق أو كثيرته، نخص بالذكر منها وادي الحجير، يبلغ قرية مشغرة مقر أحد كبار رؤساء الشيعة الملقب بالسيد الكبير، وفيها مسجد تحت قبته ضريح سيد مقصود بالزيارة من أطراف هذه البقاع، وقد شيد هذا المسجد بأنقاض هيكل أو بيعة.

ثم يخترق هضبة يرى فيها منظراً غاية في الروعة والبهجة، ثم يهبط إلى بطن وادي السلوقي وبعد عبوره يتوقل خرشوماً صخرياً يقع عند ملتقى وادي السلوقي بوادي الجمال، وفي الطرف الشمالي من هذا الملتقى تقوم قلعة صغيرة إسلامية تدعى (قلعة دبيل) وبناؤها يتألف من برجين أحدهما مستطيل الشكل وهو في الغرب. والثاني نصف دائري وهو في الشرق، وهما يتصلان بعضهما ببعض بسور شاهق، وهناك خندق محفور في الصخر يحدق بهذا السور كله، والباب الأصلي ينفتح في الطابية التي في الطرف الشمالي والقريبة من البرج نصف الدائري المكلف بحمايتها.

وبعد أن يلج من الباب يجد نفسه وسط بهو صغير معقود يطل على الباحة الداخلية للقلعة، وحول هذه الباحة حجيرات الجنود ومستودعات المؤن، فما كان من هذه في القسم الغربي هي أجل الكل شأناً ويحتمل أن يكون بينها ردهة الاستقبال وغرفة محافظ القلعة، وهذا الحصن من بناء العرب. ولعل تاريخها من القرن ١١هـ /١٧م وهناك كثير من الصهاريج المنقورة وسط فسحة صخرية واسعة أمام القلعة،

ومثلها حوض كبير منقور في الصخر في سفح الجبل يخيل للناظر أنه أقدم من بناء هذه الحصن العربي.

وبعد عبور وادي الجمال يقطع هضبة ثم يسير بمحاذاة وادي الحولة ثم يعبر هذا الوادي إلى أن يبلغ قرية الحولة الواقعة على سفوح محروثة ومزروعة وفيها تيجان أعمدة أثرية من الطراز الدوريكي موضوعة في مسجد القرية، ولعلها مأخوذة من معبد قديم.

وبعد عبور الحدود الفلسطينية يبلغ قلعة هونين أو الحصن الجديد في عرف الصليبيين المبنية مكان مدينة يانوها المذكورة في التوراة، وهي قلعة كبيرة ولكنها في حالة الخراب.

٣ ـ صور القديمة (يالا ايتر) تل الرشيدية ورأس العين (نحو ٧ كم إلى الجنوب والجنوب الغربي) طريق صالحة للسيارات يترك صور من طريق بيروت ـ الناقورة ـ في الكم الخامس بعد ملتقى طريق صور يلحظ على اليمين بين الطريق والبحر مرتفعاً صخرياً طوله نحو ٤٠٠ متر وعرضه ٢٠٠ م قد بنى فوقه الحوش العائد للمزرعة الكورة المسماة (رأس العين) وهي من أملاك الجمهورية اللبنانية، تؤجر أراضيها إلى الأهلين، والمرتفع المذكور يدعى تل الرشيدية نسبة لرشيد باشا الذي بنى الحوش المذكور في القرن ١٩، واستعمل في بنائه كثيراً من الحجارة الأثرية التي كانت ملقاة ومبعثرة هنا وقد ظن الأثريون هذا التل بأنه الأكروبول العائد لمدينة يالا آتير صور البرية التي ذكر استرابون أن موقعها على بعد ٣٠كم. سناد وفي جنوبي صور، وفي سفح التل يلحظ وجود ثلاثة خزانات قديمة تدير مياهها طواحين أو تروي المغارس القريبة، وعلى بعد ٢.٥ كم في شرقي التل المذكور خربة الحوش عين المسيود أسسوا فيها مكان بلدة أوشو المذكورة في النصوص الآشورية والمصرية وفي رقم تل العمارنة.

في الكم ٦ يأخذ على اليمين درباً صالحاً للسيارات يفضي بعد ٨٠٠ م عن الطريق المعبدة إلى (رأس العين) ذات الينابيع الجميلة التي تفيض الغل والخصب لكل كورة صور (يلحظ فيها وسط ضيعة نضرة أربعة خزانات ماء أثرية بديعة الصنع عليها مسحة الأبراج المربعة، وأجل هذه الخزانات شأناً هو الذي تنبع منه

العين الأصلية، وهو بشكله سداسي الأضلاع وكل جهة منه تمسح ٨.٥ م وجدرانه ثخينة تتجاوز الثلاثة أمتار، وقد شيدت بحصى البحر المرتبط بعضها ببعض بملاط غاية في الصلابة، أما أرضه فمقعرة تؤلف في أجزائها العليا ما يشبه الخرشوم المدور ويعرض هذا الخرشوم عدة أمتار وعلوه يتجاوز مستوى الماء، والخزان يعلو عن مستوى الأرض المجاورة له نحو خمسة أمتار، أحيط من الخارج بجدار له سطح متحدر وأحيط أيضاً بمربع مبني برخامة جميلة متأخرة، ومياه هذا الخزان تدير طاحوناً ثم تنصب فوراً في البحر، وهنالك قنطرة ماء رومانية تربط هذا الحوض بمياه حوضين آخرين يقعان إلى الشرق على بعد نحو مئة متر، وهذان الحوضان متصلان ببعضهما ويخرج من أحدهما قنطرة الماء القديمة المتجهة شمالاً نحو المعشوق الذي تقدم ذكره، ويخرج من ثانيهما قنطرة أحدث عهداً ساكبة فوق صف من الأقواس، وهذه القنطرة تذهب جنوباً وتروى الأشجار المغروسة وهنالك حوض رابع يبعد قليلاً نحو الشمال.

وثمة رواية تنسب هذه الخزانات إلى سليمان وأنه شادها ليقابل حسن صنيع حيرام ملك صور الذي كان قدم إليه كثيراً من خشب الأرز والصناع حينما بنى هيكل أورشليم، وقد ذكرها طيوم الصوري ووصفها وصفاً دقيقاً، هذه الخزانات هي على أوكد الظنون من بناء سكان صور القديمة يالا ايتر الذين قاموا من أول عهدهم يستعملون هذه الينابيع الثمينة، فحصروها ضمن خزانات متينة ورفعوا مياهها إلى مستوى أعلى من مستوى ينابيعها التي تتفجر منه، فتمكنوا بهذا العمل من سوقها إلى صور رغم الميل المعاكس للأرض وخلال العصور التي تلت أيام يالا ايتر رممت هذه الخزانات عدة مرات.

وعلى المرتفع الذي لطريق رأس العين ينفصل درب ترابي عن طريق الناقورة ويتجه شرقاً نحو ضيعة اسمها الطيبة تقع على الميول الأولى المشرفة على السهل، ففي هذه الضيعة عثروا على عرش لعشتروت نشره الأب رونزفال اليسوعي والتنقيب الذي جرى حديثاً كشف أسس جدران قديمة وقواعد أعمدة من الرخام الأبيض ولا ريب في أنها تعود إلى معبد خاص بعشتروت الفينيقية قلب فيما بعد إلى بيعة نصرانية في العهد البيزنطي، كما تدل على ذلك صلبان إغريقية منقوشة على صفاح الرخام.

٤ ـ حديقة، السكة الرومانية، قلعة معرون إلى الغرب ١٩.٥ كم لحب صالح حتى حريفة، ثم ٤٥ دقيقة في طريق رواحل في الكم ٢ شمالي مفرق طريق بيروت ـ ناقورة عن طريق صور ينفصل لحب صالح للسيارات فتحه الأهلون، يجتاز هذا اللحب الطريدة الضيقة من الأرض التي تؤلف في هذا المكان السهل وتصل في وقت وجيز إلى الأعضاء الأولى من آكام بلاد بشارة.

ومن ثم يسير اللحب في طول واد عريض نوعاً ما، وحسن الزرع يلمح على اليسار، منحدرات جرداء فيها مغاور عديدة. في الكم ٢.٥ على اليمين وفوق جبل صغير ضيعة الحميدية ـ في الكم ٧ ضيعة أكبر اسمها العباسية، ثم يضيق الوادي. ويسيل الجدول قرب الطريق تحت ظلال أشجار الحور ـ يعبر اللحب الجدول ويصعد إلى ضفة وعرة.

في الكم ١٠.٥ قرية دير قانون، في ذروة الضفة وفيها زروع جميلة وكروم زيتون وتين ـ في الكم ١٦ يلمح على اليسار فوق أكمة قرية بيضاء اسمها دير دوغيا (على طرف الطريق آبار فياضة)، وثمة آثار مقبرة أثرية رومانية .

في الكم ١٩.٥ صريفة، قرية شيعية كبيرة تقع فوق مرتفع يشرف على كل هذه الربوع. وبعد هذه القرية لا يعود اللحب صالحاً للسيارات، إلا أنه بالإمكان التقدم إلى بعد منها نحو العديسة التي على الطريق الذاهبة من الطيبة إلى جديدة مرجعيون.

( في عدة أماكن من هذا اللحب آبار متباعدة على مسافات، وهو محدود على التقريب في كل امتداده بعقد من قطع الرخام الضخمة المتوازية، ثم هو في بعض الأماكن ولاسيما بين دير دوغيا وصريفة منقور في الصخر، كل ذلك يدل دلالة قوية على أنه هو السكة القديمة الرومانية التي كانت تصل الساحل الصوري بوادي الأردن الأعلى ومن بعده بأنحاء دمشق.

ومن صريفة يبلغ راكب الراحلة خلال ٤٥ دقيقة نحو الشمال الشرقي قلعة معرون ولا يزال لهذه القلعة منظر رهيب لمن يراها من بعيد لاسيما من الوادي الذي تشرف هي عليه نحو الغرب. وهي رابضة فوق ذروة أكمة ذات ميول شديدة، فيها وجلول مدرجة مزروعة. وفي القلعة أبراج نصف دائرية مرتبط بعضها ببعض بالجدران

أسوار شاهقة العلو إلا أنها عند الوصول إليها لا تظهر إلا أكوام خرائب. وفي السور الخارجي ثغرات واسعة. والأبراج والأسوار قد هدمت تيجانها ونحو الشمال الغربي يوجد آثار سور ثانٍ لعله القلعة الأصلية. ويلحظ أيضاً وجود صهاريج عديدة منقورة في الصخر. وهذه القلعة عربية الأصل، وينسب بناؤها إلى ظاهر العمر، فهي معاصرة لقلعة تبنين ولعلها مبنية فوق مكان أثري أقدم منها.

عودة: يخرج من صور حتى يلاقي طريق بيروت ـ ناقورة ويترك على يمينه طريقاً آخر يفضي إلى صور فأصبح مطموراً بالرمال ويترك على يساره طريقاً يفضي إلى جويا وفي النية إكماله حتى تبنين.

في الكم ٨٩، على اليمين وعلى اليسار، أملاك زراعية جميلة ـ في الكم ٩٠ على اليسار طريق يفضي إلى قانا. في الكم ٩٢ يلمح تل الرشيدية.

في الكم ٩٣ على اليمين، درب ذو صلاح ضئيل للسيارات يفضي بعد ٨٠٠م إلى رأس العين وعلى اليسار سكة ترابية تفضي إلى قرية تبنين.

في الكم ٩٥ يلمح على اليسار وفوق الطريق قرية دير قانون فيها تماثيل منقوشة في الصخر، وبعدها تأتي قرية قبيلة التي يجوزها السائر بعد عبور نهر المنصورة. ومما يذكر أن بين هاتين القريتين كثيراً من الكهوف المقبرية والنواويس.

وعلى بعد نصف ساعة شرقي قبيلة يوجد في الجبل معبد يدعى النبي عمران، يلحظ فيه تيجان أعمدة كورنثية وبيزنطية وآثار كثيرة من العهد البيزنطي.

في الكم ٩٧ جسر على نهر العزية، يترك على اليسار على الضفة اليسرى للنهر قرية العزية ولعلها أشازي المذكورة في رقم تل العمارنة.

في الكم ٩٩ على اليسار قرية بيوص الصيد وفيها آبار ولعلها في مكان، ثم قرية الشيبرية وفيها أطلال ثم يبلغ إلى الخرشوم الكبير المسمى برأس الأبيض.

ويرى صخوره البيضاء تدخل في البحر دخولاً عمودياً هائلاً، والطريق التي تجتازه منقورة في الصخر نقراً.

في الكم ١٠١، تبلغ الطريق قمة الخرشوم المذكور، وهناك منظر جميل رائع يمتد نحو صور في الشمال ورأس الناقورة في الجنوب ـ في الكم ١٠٣ الإسكندرونة، وفيها خان بسيط على يسار الطريق ومقهى ومطعم صغيران على يمينه وفيها سمك

طري هذه ومعنى هذا الاسم خيمة الاسكندر وأصله أن الاسكندر الكبير حينما كان يحاصر صور عسكر في هذا المكان وشاد فيه حصناً صغيراً، وفي العصور المتوسطة سمي هذا المكان اسكندليون وجعل من إقطاعات صور وفي سنة ١١١٩ رمم بودوين الأول الحصن ليتخذه قاعدة لحركاته العسكرية ضد صور بيد أن خرائب هذه الإسكندرونة قد اندثرت بالمرة. وليس فيها من الآثار القديمة سوى عين ثرة جميلة تتدفق من حوض مدور، وبعض أبدان أعمدة.

وفي الإسكندرونة مجاز يفضي خلال نحو ٤٥ دقيقة إلى حصن قديم يشرف على رأس الأبيض ويحكم على طريق الساحل اسمه (قلعة الشمعة) وهذا الحصن لا يتجاوز عهد ظاهر العمر وهو الآن خراب.. وهو مبني على هضبة مرتفعة (علوها ٤٠٠ متر) يمتد النظر منها إلى مسافات شاسعة، ويحيط سور محصن على مسافات متباعدة بأبراج نصف دائرية، مبنية هي الأخرى كالسور بأحجار منتظمة ذات حجوم وسط، ما خلا المداميك السفلى المصفوفة على هيئة سطح مائل، فإنها من رضام أعظم وأضخم، يدخل إلى هذا الحصن من أحد البابين السريين الموضوعين وضعاً متقناً في أسفل الأبراج الجنوبية. وكان داخل الحصن مقسماً إلى قسمين، أحدهما نحو الشمال يمكث فيه الباشا والثاني نحو الجنوب كان يحتوي على مساكن خاصة ولم يبق من الحصن الأصلي سوى بضعة أبهاء يتخذها الآن الرعاة زرائب للغنم.

يمر الطريق من أسفل تل الضبع وتل أرميد أو الأمسيس (وفيه بقايا جدران، أجران قبورية، نواويس) ويبلغ في الكم ١٠٦ أسفل الأكمة التي يوجد فيها الخرائب المعروفة باسم أم العواميد.

يرى في أم العواميد نوع من الأكروبول مع بقايا أعمدة ذات تيجان أيونية وقد عثر زينان على أجزاء لأبي الهول على رأسه غطاء مصري، وعلى كرات عديدة مجنحة والتي هي التصميم الاعتيادي لكل إطارات الأبواب والنوافذ الفينيقية، وعلى أجزاء مذابح مزخرفة، وعلى حوض ماء ممتاز جداً.. الخ.

وقد كان في أم العواميد عمارة مصرية قد دثرت الآن، كان فيها عتبة باب عليها كرة مجنحة باورائوس وقد اكتشفوا في أم العواميد أربع كتابات إحداها

إغريقية والثلاث فينيقية واكتشفوا أيضاً أنصاباً جنائزية من أسلوب واحد مشتق من نموذج صوري، أخصها نصب راهب ميلكاشتار. وقد ذكر في إحدى الكتابات اسم بلدها مون قربوها بالتشبيه لهامون يشوع (١٩، ٢٨) وللنبع المسمى عين حامول الذي يسيل في أسفل أم العواميد. ونقب المسيو دي لوري سنة ١٩٢١ فظهر من ذلك ازدهار هذه المدينة المصرية الفينقية بعد الإسكندر ويعزى ذلك إلى أن كثيراً من الأسر الصورية لجأت إلى هذا المكان عقيب استيلاء الإسكندر على بلدتهم صور.

في الكم ١٠٧ ينحرف الطريق نحو اليمين ويجتاز خرشوماً صغيراً ـ في الكم ١٩٨ على اليسار قرية الناقورة سكانها ٢١٧ يترك هنا على اليسار درباً يفضي بعد ٦ كم إلى علما قرية سكانها ٧٠٠، وهي قاعدة ناحية وفيها كنائس مارونية وكاثوليكية ومعبد بروتستانتي وقد اشتهرت بجودة تبغها، وسيمد هذا الدرب في المستقبل حتى قرية بنت جبيل التي يوصل إليها الآن من طريق رواحل سيأتي وصفه.

من علما إلى بنت جبيل (إلى الغرب) ، خلال ٤ ـ ٥ ساعات، في لحب دواب، بعد ٢٥ دقيقة يصل إلى قبر كوسا وهي قرية خربة مهجورة تقع فوق أكمة يلحظ فيها مغاور مقبرية كثيرة، منقورة في صخر طري هش. في الدقيقة ٣٥ رملة، وفيها بيت منعزل، على اليمين درب يفضي بعد ثلث ساعة إلى يحادي، فيها أطلال قرية صغيرة لا يزال باقياً منها عدة أحواض وأقبية على اليسار درب يفضي خلال ٣٠ دقيقة إلى يارين وهي ضيعة يقطنها نحو ٣٠٠ نفس من البدو وقد وجدوا بها اسم الصليبية التي كانت قائمة فوق قمة ومنحدرات أكمة كان يحيط بها في الماضي سور مبني برضام ضخمة منحوتة، وبعد أن خربت يارين وأصبحت ركاماً من الأنقاض امتلأت أكمتها بالأنجم النابتة أو بالزروع ولا يزال يلحظ على قمتها حصن قديم.

وفي الجنوب الشرقي من ناحية المسيل الذي يتلوى فيه وادي يارين، عين ثرة لا تنقطع عن الانفجار من أسفل مغارة ثم تجتمع مياهها في خزان منقور في الصخور وفي الشرق يمتد نوع من الشوارع كانت فيما مضى تحضن بجانبيه عمارات ذات شأن وقد لحظوا فيه خاصة بقايا كنيسة كبيرة ذرعها ٤٥ خطوة في ٢٢، وقد كانت مبنية بأحجار جميلة منحوتة راكب بعضها فوق بعض دون ملاط، ومنتهية نحو الشرق بثلاث حنايا وفي داخلها كان صفان من الأعمدة الوحيدة الحجر بعض قطعها

المهشمة لا تزال ملقاة على الأرض، وكان الصفان المذكوران يقسمان هذا الداخل إلى ثلاثة صحون. وعلى ذلك ينبغي أن يكون للصحون المذكورة ثلاثة أبواب في واجهة الكنيسة الغربية.

في الساعة ١.٢٥ دقيقة يترك على اليسار على بعد ٢٠ دقيقة فوق جبل صعب المنال أطلال هيكل قديم يدعى (البلاط) يرى فيه من جهة الجنوب ثلاثة أعمدة تحمل حتى الآن ارسيتراق وأمام الهيكل على بعد قليل عمودان منفردان بدون تيجان وفي امتداد صف الأعمدة الثلاثة الحاملة للآرسيتراق، في جهة الشرق ينتصب شبه دعامة ذات زوايا رأسها يتقعر على شكل تاج عمود ويرى في الهيكل من جهة أخرى في الجنوب الغربي من الهضبة زاوية من صف الأعمدة يتألف من عمود واحد في الجنوب ومن عمودين في الغرب، وفوق هذا الصف آرسيتراق.

وفوق قمة الجبل المذكور كلها يرى كميات وافرة من الأعمدة الملقاة على الأرض ومن الأحجار المنحوتة والبلاط وفي شرقه أطلال يظن أنها مداخل الهيكل، إذ لا يزال فيها ستة أدراج ظاهرة لسلم ذي عرض غير يسير يصعدونه إلى الهيكل، وفي مرتفع هذا الهيكل منظر غاية في الروعة والانتصاع يكشف كل البقاع الممتدة من بيروت حتى الناصرة.

في الساعة ١.٤٠ دقيقة يترك على اليسار (سرايا) القديمة التي ذكرها يشوع وقد كانت تعود إلى سبط آزر وهي الآن قرية شيعية تقع فوق قمة أكمة. يلحظ فيها جرن يشبه ناووساً هائل الحجم منقور في صخر عظيم، بحيث لا يزال قعره غير منفك عن الصخر، ويحتوي هذا الجرن على ثلاث قعرات قبورية متوازية، وأحواض وكهوف مقبرية.. الخ.

ويمكن الوصول من راما إلى بنت جبيل أولاً خلال ٣ ساعات و ١٠ دقيقة، فيمر في الدقيقة ٤٥ بقرية دبيبل المارونية القائمة على ذروة أكمة وفيها أطلال جدار سور وأحواض وصهاريج وكهوف مقبرية مع كتابات إغريقية، ثم في الساعة ٢ والدقيقة ١٠ بدبيبل، وهي قرية كبيرة سكانها ١٠٠٠ نفس أكثرهم موارنة وفيها أيضاً صهاريج ونواويس، ثانياً من طريق جنوبية أكثر خلال ساعتين و ٢٠ دقيقة، فيمر في الدقيقة ٢٠ بعيتا الشعب وهي قرية شيعية وفيها بقايا جدار سور، وحصن صغير تحته

صهريج واسع وكهوف مقبرية، وفي الساعة ١ والدقيقة ٢٠ بقرية روميش ومن هذا المسلك الثاني سيمتد في المستقبل طريق علما ـ بنت جبيل .

عودة ـ على اليمين يلمح برج مراقبة قديم مستطيل الشكل يدعى برج الناقورة. وهذا أيضاً مبني فوق الصخر ويطل على البحر من جهة واحدة. شيد بقطع رخام أثرية، ولا يبعد عهده عن العصور المتوسطة. ونصف الطابق الأعلى منه متهدم وبعد هذا البرج يصل فوراً إلى نقطة الجمرك اللبناني.

ثم يوازي الطريق ساحل البحر، ثم يصعد تدريجياً ويجتاز في الكم ١١٢ رأس الناقورة. وقد كان هذا الرأس الحد الفاصل بين أرض الميعاد وفينيقية، وقد صار في يومنا هذا الحد الفاصل بين فلسطين والجمهورية اللبنانية. وهناك السكة القديمة المؤلفة من مدارج متتابعة منقورة في الصخر، وقد كان اسمها مدارج صور.

في الكم ١١٣ نقطة الجمرك الفلسطيني. وعند الخروج من هذه النقطة تظهر منظرة رائعة نحو سهل عكا وخليج حيفا وجبل الكرمل. ومن هذه النقطة إلى حيفا ٣٤,٣ كم فقط .